المشروع الأمريكي في حرب أهل السنة

ناصحون

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا يخفى على أدنى متأمل ما تشهده هذه السنوات الأخيرة من حرب سافرة حاقدة ماكرة، يشنها الغرب الكافر، وعلى رأسه أم الكفر: أمريكا؛ التي تتولى كبر ذلك على الإسلام وأهله، ولا سيما أهل السنة منهم.

ولسنا في حاجة لإثبات ذلك بالوثائق والمواقف والأدلة فهي من الوضوح بحيث يدركها اليوم الصغير، والكبير، والشيخ، والعجوز، والمثقف، والأمي، ولئن عُذر أحدٌ في خفاء هذا العداء والحرب في ما مضى من عقود؛ فإنه لا يعذر اليوم، وقد تساقطت الأقنعة، وتعرت النوايا، وظهرت فيه المعايير المزدوجة، والمكاييل التي تكيل بمكاييل مختلفة، وإن المسلم المتدبر لكتاب ربه -عز وجل- وما فيه من السنن الإلهية، التي لا تتبدل، والتوجيهات الربانية التي تبين لنا حقيقة أعدائنا الكفرة ، وتحذرنا منهم، ومما تخفي صدورهم من الكيد والمكر للمسلمين.

إن المسلم المتدبر لذلك كله يصير بذلك أسعد الناس بمعرفة عدوه، وأخذ الحذر منه، والبراءة منه، وإظهار العداوة له، والتحذير من مكره وكيده، يقول الله -عز وجل-: (وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) [آل عمران: 118 – 120]، ويقول سبحانه: (وَلَن ترضى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النصارى حتى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) [البقرة: 120]، ويقول سبحانه: (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً) [النساء: 89]، ويقول الله -تعالى-: (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) [البقرة: 217]، ويقول تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أهل الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ)

[البقرة: 109]، ويقول سبحانه: (كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) [التوبة: 8]، والآيات من كتاب الله -عز وجل- في التحذير من الكفار، وبيان عداوتهم للمسلمين كثيرة.

والمسلم المتدبر لكتاب ربه تكفيه هذه الآيات وأمثالها، في توجيه العداوة للكفار، والبراءة منهم، والحذر من مكرهم، وجهادهم، ولا يحتاج المسلم في إثبات هذه العداوة والبراءة إلى مزيد من الأدلة الواقعية حتى يوقن بذلك؛ لأنه موقن بكلام ربه -سبحانه-، ولكن ما يظهره الله -عز وجل- من وقائع وفضائح، وسقوط للأقنعة تزيد المؤمن إيماناً ويقيناً.

إن المدافعة والصراع بين الحق والباطل سنة إلهية، اقتضتها حكمة الله -عز وجل-، وعلمه ورحمته، منذ أن هبط آدم -عليه الصلاة والسلام- إلى الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال الله -عز وجل-: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) [الأنعام: 112]، وقال سبحانه: (ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ) [محمد: 4]، وقال سبحانه: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأرض وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) [البقرة: 251]، وقال سبحانه: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) [الحج: 40]، يقول الأستاذ عبد العزيز كامل عن هاتين الآيتين: "والمعنى من الآيتين: لولا دفع الله بأس المشركين بممانعة وجهاد الموحدين، وحكمهم بالوحي المنزل؛ لزاد الفساد، واستحكم الظلم، وحرم العباد من عبادتهم لرب العباد، فالتدافع هو الأصل بين سبيل الأبرار والفجار، ليس في ميادين المعارك العسكرية فقط، بل قبل ذلك في ساحات المواجهة الفكرية، وحقيقته صراع بين من يحملون المنهج السوي من أتباع الرسل، وبين من يحتمون بسواهم من ملل الجهالات والمقالات والأهواء، قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأرض مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ) [إبراهيم: 13 – 14].

والصراعات تكون أيضاً بين باطل وباطل، وقد يكون ذلك خير لأهل الإيمان، كما كان الصراع بين الفرس والروم، حيث أنهك كل منهم الآخر لتسهل المهمة بعد ذلك على عباد الله الموحدين في الانتصار عليهما.

إن صراعات عصرنا ليست استثناء في كون أصلها صراعاً بين عقيدة وعقيدة.

والصراع الدولي اليوم -الناشب في ميادين متعددة على أرض العالم الإسلامي- يتضح فيه يوماً بعد يوم أنه صراع بين الحق والباطل، بين حق الاسلام وباطل الأعداء، الذي تأتي فيه الصهيونية الأمريكية بشقيها اليهودي والنصراني في مقدمتهم، حيث أطلقت أمريكا على حربها هذه: "الحرب العالمية على الإرهاب" بعد ان لعبت بمصطلح "الإرهاب" لكي يكون مرادفاً للإسلام وأهله، الذين وقفوا في وجهها، لكي يكون هذا المصطلح صالحاً؛ لأنه يطلق على أشخاص دون أشخاص، ودول دون دول، وجماعات دون جماعات، وممارسات دون ممارسات"(1.(

وقد كتب الله -عز وجل- هذا الصراع، وقدره لحكم ومصالح عظيمة، أظهر الله -عز وجل- لنا بعضها، وأخفى عنا بعضها، ومن هذه الحكم التي تضمنتها الآيات السابقة:

-1في سنة المدافعة درء لمفاسد عظيمة عن العباد، في أديانهم وأنفسهم، وعقولهم وأموالهم وأعراضهم، إذ لو أن الله -عز وجل- لم يقيض للباطل من يرده ويدفعه من أهل الحق، لفسدت الأرض ومن عليها، كما ذكر الله -عز وجل- ذلك.

-2في سنة المدافعة يستخرج الله عبودية أوليائه وحزبه، في السراء والضراء، وفيما يحبون وما يكرهون.

-3 في سنة الصراع بين الحق والباطل تمحيص وابتلاء، يتميز فيها المؤمن الصادق، الذي يستحق مرضاة الله -عز وجل- وجنته، من المنافق الذي كان يخفي نفاقه في الأمن، فتأتي شدة الصراع لتظهر نفاقه، وفي هذا مصلحة للمؤمنين، قال سبحانه: (مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) [آل عمران: 179]، وقال سبحانه: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) [آل عمران: 142.[

-4في سنة الصراع والمواجهة بين الحق والباطل مصلحة عظيمة، في كون هذا الصراع الشديد يبرز الحق ويظهره للناس، ويتعرف عليه الناس الجاهلون به، ويصلب عوده، ويظهر للناس صدق أهله، وبطلان أعدائه، وهذا لا يأتي بتعايش الحق مع الباطل، ومسالمة كل طرف للطرف الآخر، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى-: "من بعض فوائد ذلك: أن يعلو الحق على الباطل، وأن يتبين

الحق، ويتضح اتضاحاً عظيماً؛ لأن معارضة الباطل للحق مما تزيده وضوحاً وبياناً، وكمال استدلال، وأن يتبين ما يفعل الله بأهل الحق من الكرامة، وبأهل الباطل من العقوبة"(2.(

وبعد هذه المقدمة التي لابد منها أدخل في صلب هذه المقالة وموضوعها، ألا وهو "المشروع الأمريكي في حرب الإسلام السني"، ولكي يسهل تناول الموضوع وفهمه أصوغه في الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: إن ما يدور الآن من أحداث مؤلمة في بلاد الشام، والعراق، واليمن، وفلسطين، وأفغانستان، ومصر، وليبيا، وما يخطط لغيرها من البلدان الأخرى، إن هو إلا نتيجة لمخطط إجرامي قذر، يشنه الغرب الكافر بزعامة رأس الفساد والإفساد، والصد عن سبيل الله "أمريكا الطاغية"، وذلك في مشروعها الإفسادي وحربها العالمية للإسلام السني وأهله، وهذا ما يصرحون به، ولا يخفونه كما سيأتي تفصيله لاحقاً -إن شاء الله تعالى.-

وأود التنبيه في هذه الوقفة إلى أمر مهم ألا وهو: ضرورة أن نعلم بأن رأس الأفعى في هذه الحرب المشوبة على المسلمين هي أمريكا الطاغية، دون التهوين من شركائها في هذه الحرب.

إن المشروع الأمريكي هو الأخطر في المنطقة فينبغي على الدعاة والمجاهدين أن يعوا هذا الخطر.

أقول هذا القول لما لمسته من غفلة عن هذا المشروع، مقابل المشروع الإيراني والروسي في المنطقة، الذي أخذ حقه من البيان والفضح، لقد نجحت أمريكا إلى حد كبير في صرف أنظار كثير من المسلمين -ومنهم بعض الدعاة والمجاهدين- عن خطرها، وحاولت توجيه الكره والعداوة إلى إيران ومشروعها الرافضي، فكثرت البيانات والتحذيرات من الخطر الصفوي، وهذا حق وواجب، ولكن هذا يجب ألا يصرفنا عن خطر وجرائم المشروع الأمريكي الأمريكي ومن سار في فلكه الأمريكي فإنهم أخطر ما يكون على المسلمين، بل يمكن القول بأن المشروع الصفوي الرافضي والروسي إن هو إلا أداة من أدوات تنفيذ المشروع الأمريكي، وتمريره في المنطقة، فينبغي أن يأخذ حقه من الفضح، وبيان خطره، وأن لا ينسينا الحديث عن خطر المشروع الروسي والصفوي بيان الخطر الأمريكي، وضرورة التصدي له، ولألاعيبه وأهدافه.

وعندما نقول "المشروع الأمريكي" فإننا نعني بذلك وجود أموال، وعلماء، وعملاء وأجهزة استخبارات، ومراكز أبحاث، ووسائل إعلام، وأسلحة، وكلها مجندة لخدمة المشروع.

الوقفة الثانية: لماذا تركز أمريكا في حربها على الاسلام السني؟

كان العداء في القرن الماضي والمدافعة بين قطبين كافرين من القوى الكبرى: المعسكر الغربي الرأسمالي بقيادة أمريكا، ومن معها في حلف الأطلسي، وبين المعسكر الشرقي الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي ومن حالفه في حلف وارسو، واستمرت الحرب الباردة بين المعسكرين عقودًا من الزمن، وقد استخدمت أمريكا بعض الدول الإسلامية في حرب المعسكر الشرقي بحجة إلحاده، وعقيدته الشيوعية، ودعمت المجاهدين الأفغان في حرب الاتحاد السوفيتي، إبان غزوه لأفغانستان، لا حباً للمجاهدين، وإنما لإسقاط الروس وإضعافهم، وحصل بفضل الله -عز وجل-، ثم جهاد المجاهدين، أن انسحبت روسيا منهزمة من أفغانستان، ثم تلى ذلك السقوط الذريع للاتحاد السوفيتي وتشرذمه.

بعد ذلك انفردت أمريكا كقوة عظمى في العالم، ولكن الله -عز وجل- بعلمه وحكمته ورحمته وعزته وسنته التي لا تتبدل قيض لهذه القوة المتغطرسة، دين الإسلام وأهله من المجاهدين، وبدأت المدافعة بين المعسكر الغربي وعلى رأسه أمريكا، وبين المعسكر الاسلامي، وأيقنت أمريكا أن عدوها الأول هو الإسلام وأهله، ولا سيما بعد الصحوة الإسلامية العارمة، واشتعال جذوة الجهاد في أمكنة كثيرة من بلدان المسلمين، حتى وصل الخطر إلى عقر ديارهم، فأجلبت بخيلها ورجلها، وكشفت عن ساق الحرب، وشنتها على أكبر خطر يهددها، ألا وهو: دين الله الخالد الإسلام وحملته من الدعاة والمجاهدين.

ومن خلال هذه الحرب: اكتشفت أمريكا وبما تملكه من مراكز بحوث وأحداث متتالية أن المنتسبين للإسلام ليسوا سواء، وليسوا كلهم أعداء لها، فصنفت المسلمين إلى معتدلين، وأصوليين متطرفين، فأخرجت من حربها من تراه في نظرها من الموالين لها، ممن تسميهم بالمعتدلين من اللبراليين والعصرانيين والمتصوفة الخرافيين، والباطنة المنافقين من الرافضة والشيعة، ورأت أنهم لا يشكلون خطراً عليها، بل لقد رأت فيهم صيداً ثميناً، وذراعاً قوية، استخدمته ووظفته في حرب التيار السلفي الذي استعصى عليها، وأعلن عداوتها والبراءة منها، وحرص على مفاصلتها وجهادها، بالبيان والسنان، فحصرت حربها فيهم "كمرحلة أولى، يتلوها حرب المسلمين كافة، وسوريا والعراق خير شاهد"، فاستعرت نار الحرب، وحمي وطيسها بين معسكر الإيمان ومعسكر النفاق والكفران.

ولم تكن هذه الحرب على الصعيد العسكري فحسب، بل على صعيد آخر أكبر منه، وأخطر، ألا وهي: حرب الأفكار، وتشويه العقيدة السلفية النقية، وأصعدة أخرى.

وهذا تقرير "راند" الشهير، وهو من مراكز الأبحاث الأمريكية الخطيرة المؤثرة في صنع القرار الأمريكي، يقول في تقريره الشهير: "بناء شبكات إسلامية معتدلة": "بأن الولايات المتحدة الأمريكية تقود حربًا علي الصعيدين الحربي والفكري، فهي تقود معركة بالأسلحة، ومعركة بالأفكار، حيث لن تكون الغلبة على الجانب الآخر إلا بتشويه الأيدلوجيات المتطرفة في أعين معتنقيها ومؤيديها.

ويوصي التقرير في مواطن أخرى: "بأن تدعم الإدارة الأمريكية قيام شبكات وجماعات تمثل التيار العلماني والليبرالي والعصراني في العالم الإسلامي، لكي تتصدى تلك الشبكات والجماعات لأفكار وأطروحات التيار الإسلامي، التي يصفها التقرير بالجملة أنها تيارات متطرفة.

كما يوصى التقرير: أن يستخدم التيار التقليدي والصوفي في مواجهة الإسلام السلفي، وقد تم تعريف التيار التقليدي والصوفي في هذا التقرير: أنه التيار الذي يصلي في الأضرحة، خلاف ما تدعو إليه الوهابية، ويميل إلى التصوف والتعصب للمذاهب(3.(

والحاصل: أن طاغية العصر: أمريكا وحلفائها من الغرب، ومن دار في فلكها من الطواغيت والمنافقين، قد حددوا عدوهم الاستراتيجي الذي ينبغي أن توجه إليه الحرب بكل أشكالها، وأنه جميع التيارات السلفية التي تنطلق من عقيدة التوحيد، والولاء والبراء، والجهاد في سبيل الله -تعالى-، والله -عز وجل- غالب على أمره، وله الأمر من قبل ومن بعد، والعاقبة للمتقين، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

يقول د/ عبد العزيز كامل: "الصراع بين الصحيح والمحرف من العقائد وهو جوهر "حرب الأفكار" الراهنة، والإسلام "غير المحرف" يمثله في أنصع صورة، منهج أهل السنة والجماعة، ولهذا فإن حملة هذا المنهج هو المستهدفون الأوائل في حرب الأفكار، مرة باسم الأصوليين، ومرة باسم السلفيين، ومرة ثالثة باسم الوهابيين، ولهذا نجد تقارير "معهد راند" وغيرها، تصب في اتجاه تجييش العالم بكفاره ومنافقيه ومرتديه ومبتدعيه ضد أنصار هذا المنهج الذي يمثل الدين الصحيح(4.(

الوقفة الثالثة: أنواع الحرب المشبوبة على أهل السنة الموحدين:

ينطلق المشروع الأمريكي -ومن سار في ركابه- في حربه العالمية على أهل التوحيد والسنة، من خمسة محاور، أسوقها مجملة، ثم أفصلها بعد ذلك -إن شاء الله تعالى:-

المحور الأول: الحرب العسكرية.

المحور الثاني: الحرب الفكرية العقدية.

المحور الثالث: الحرب الاقتصادية.

المحور الرابع: الحرب الاجتماعية والسلوكية.

المحور الخامس: الحرب السياسية ذات الوجهين.

وقد سخرت الإعلام بقنواته كلها المسموع والمرئي والمقروء في إذكاء هذه الحرب وتسويقها.

هذه محاور الحرب الإجرامية القذرة على الحق وأهله، والتي اجتمع فيها العالم كله بجميع أطيافه، وتناسوا خلافهم ووحدوا حربهم على الموحدين من أهل الإسلام، هذه الحرب التي لو وجهت لأي عدو غير الإسلام لانتهى، وانمحى وجوده منذ زمن بعيد، ولكنه دين الله -عز وجل- الذى اختاره لعباده، والذي تكفل بحفظه، ونصره، وظهوره على الدين كله ولو كره المشركون، قال تعالى: (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [التوبة: 32 – 33]، وعن هذه الأنواع من الحرب الموجهة للإسلام السني، يقول المخذول زعيم المهزومين "بوش" في خطاب له بعد أحداث: 11 سبتمبر: "نحن نحارب في جهات مختلفة؛ عسكرية، واقتصادية، وسياسية، وفكرية، ونحن واثقون بأننا سننتصر في كل جهة"، ومثل هذا التصريح قال به وزير الحرب الأمريكي آنذاك في حديث أدلى به إلى صحيفة "الواشنطن بوست" في 2006/3/27 قال فيه: "نخوض حرب أفكار مثلما نخوض حرباً عسكرية، ونؤمن إيماناً قوياً بأن أفكارنا لا مثيل لها"، وأردف قائلاً: "إن تلك الحرب تستهدف تغيير المدارك، وإن من المحتم الفوز فيها، وعدم الاعتماد على القوة العسكرية وحدها."

أولاً: الحرب العسكرية:

وهي تلك الحرب التي شنتها أمريكا وحلفاؤها، وتشنها على بلدان المسلمين بذريعة محاربة الإرهاب، فاحتلت بعض بلدان المسلمين، ثم سلمتها لعملائها المنافقين من علمانيين ورافضة، كما حصل ذلك في حربها علي أفغانستان، وإسقاطها لحكومة طالبان، وما حصل في العراق وإسقاطها لحكومة صدام، بذريعة الأسلحة ذات الدمار الشامل، وسلمتها لأعداء السنة من الرافضة الشيعة، ومكنت لهم في البلاد، وما يحصل اليوم في بلاد الشام وفلسطين واليمن وليبيا -التي يراد منها قطع الطريق على أهل الجهاد والسنة، ومنعهم من إقامة دولة إسلامية- ومساندة العلمانيين والشيعة والباطنين، وتمكينهم من إقامة دولة الرفض والنفاق، التي توالي الغرب الكافر، وتعادى أهل الإسلام الحق، ولقد عانى المسلمون السنة من تلك الحروب المجرمة -في تلك الديار كلها- من الإبادة بمختلف الأسلحة الفتاكة، رجالاً ونساءً وأطفالاً، وسجن الكثير منهم، وشرد الملاين من ديارهم، وكل ذلك يجري تحت سمع العالم وبصره، ويتحجج هؤلاء الغزاة -بلا خوف ولا حياء- بأنهم قد أتوا لنشر الحرية والكرامة والديموقراطية، في تلك البلاد وتطهيرها من الفساد والإرهاب! ولهذا ابتهج المنافقون من رافضة وليبراليين بهذا الغزو، وبهذه الحروب على السنة وأهلها، وتعاونوا مع الغزاة في حربهم، ومكنوا لهم من دخول الديار المسلمة، وهذا شأن المنافقين في كل زمان ومكان، قال الله -عز وجل-: (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهل الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) [الحشر: 11]، وقال سبحانه: (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ * أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) [النساء: 138- 139.[

وأسوق فيما يلي بعض صور المعاناة والآلام التي عاناها ويعانيها المسلمون السنة من الغزاة الكفرة، وأوليائهم المنافقين، وذلك فيما يقومون به في تلك البلدان من عدوان صارخ على كرامة الإنسان وحقوقه، في نفسه وماله وعقله وعرضه، فأين الكرامة والحرية التي يتذرع بها هؤلاء الكفرة الغزاة، في أنهم جاءوا لإحيائها ونشرها في بلدان المسلمين؟!

نشر موقع "Thawra on lin" تقريراً بعنوان: "عشرة أعوام على الغزو الأمريكي للعراق... عقد مملوء بالفوضى والموت والنزوح والفقر دفنت شعارات أمريكا الكاذبة" قال التقرير: "أعطى القرار الأمريكي المشؤوم بغزو العراق متخطياً -بصلف- كل الشرائع السماوية والإنسانية، الضوء الأخضر، لمرحلة عارمة بالفوضى، والموت، والتشتت، والتمزيق في هذا البلد، الذي شكل على الدوام نقطة ثقل لحضارة المنطقة واستقرارها، في المراحل الأولى لعقد مضى على هذا الغزو"،

كما كشفت الوثائق التي حصل عليها الموقع، والتي تجاوز عددها 400 ألف وثيقة، معلومات جديدة عن ضحايا لشركة "بلاك ووتر" من المدنيين، وعن تستر الجيش الأمريكي على التعذيب داخل السجون العراقية، بأمر من الإدارة الأمريكية، وأكدت الوثائق السرية أن القوات الأمريكية كانت تحتفظ بتوثيق للقتلى والجرحى العراقيين، برغم إنكارها علنياً لكل ذلك، حيث تم الكشف عن توثيق لـ 285 ألف ضحية عراقية، بينهم 109 آلاف قتيل على الأقل، وتعني هذه الأرقام بوضوح أن نسبة القتلى بسبب الحرب الأمريكية على العراق، يصل إلى أربعة أضعاف تلك التي سجلتها الحرب الأمريكية في أفغانستان، وأن بقية الخسائر تصل إلى ستة أضعاف، في سياق المقارنة نفسها.

وأظهرت الوثائق أن قرابة 63% من القتلى هو من المدنيين، أي أنهم يشكلون ثلثي مجموع القتلى، وكشفت تحليلات الوثائق ارتفاع معدلات القتلى في العراق شهراً بعد شهر منذ اليوم الأول للغزو الأمريكي، وبحسب موقع إحصاء الضحايا العراقيين، فإن عدد القتلى من المدنيين وصل إلى 110 آلاف قتيل، منذ بداية الغزو الأمريكي للعراق، ولكن مع نشر وثائق "ويكيليكس" بات يتعين على المواقع رفع أرقامها بنسبة 50% إذ أن العدد الحقيقي وصل إلى 150 ألف مدني، دفعوا حياتهم جراء الغزو الأمريكي، حيث شكل المدنيون العراقيون فريسة سهلة على الدوام لكل مصادر النيران الأمريكية، علماً بأن الإدارة الأمريكية لم تكلف نفسها عناء الإحصاء الممنهج للقتلى الذين سقطوا بنيران قواتها.

وفضحت الوثائق كذب الرواية الأمريكية المعلنة على صعيد الحواجز، ونقاط التفتيش، حيث تظهر عدداً كبيراً من العراقيين قضوا عند هذه النقاط، أو بهجمات جوية أمريكية مباشرة، حيث اعتادت الطائرات الأمريكية استهداف ما تسميهم "مشتبهاً فيهم" على أنهم مقاتلون مناوئون لها، وكثيراً ما كانت النتائج مدمرة، ففي الفلوجة في التاسع من أيلول عام 2005م أكدت تقارير عدة: أن الولايات المتحدة أسقطت كميات ضخمة من الفسفور الأبيض على مدينة الفلوجة، خلال العدوان على المدينة في تشرين الثاني عام 2004م، الأمر الذي أسفر عن مقتل عدد كبير من أهالي الفلوجة، مع إصابتهم بحروق هائلة، كاشفةً أن هذه الهجمات تسببت بتدمير نحو ستين إلى سبعين بالمائة من المنازل والمباني بشكل كامل، وأسفرت عن سقوط الكثير من الضحايا، بينما أكدت إحصاءات طبية ارتفاع نسبة التشوهات الخلقية لدى الأطفال المولودين حديثاً بنسبة 60% منذ عام 2003م مع توقعات بتزايد هذه الظاهرة وتفاقمها.

وبلغ عدد النازحين أكثر من 2,8 مليون عراقي ما زالوا مهجرين من ديارهم، ويعيشون في ظروف بائسة، هائمين على وجوههم في مشارق الأرض ومغاربها، متأبطين البؤس والمذلة والعوز على أعتاب سفارات أمم الدنيا، بينما عُلقت قصص المئات والآلاف من العراقيات اللواتي دفعهن الفقر والعوز للإنزلاق في المحظور على مناشير الإعلام الأصفر، وصرن عامل جذب لآلاف المتابعين والمتطفلين العابثين.

وفي 1424/3/11هـ الموافق 2004/5/2 م عرضت القنوات الإخبارية صوراً منقولة عن قناة CBCالأمريكية يظهر فيها تعذيب الأسرى العراقيين في "سجن أبو غريب" قرب بغداد، بلغت الغاية في الوحشية، والهمجية، والظلم، وامتهان الكرامة الإنسانية، والتعذيب الذي يؤدي إلى القتل، فظهر في الصورة جندي أمريكي يضع قدمه على المواطن العراقي السجين.

وفي صورة أخرى يتبول الجندي الأمريكي على السجين، وسط استهزاء الجنود، وإظهار الاحتقار.

وفي صورة ثالثة ظهر المعتقلون عراة، والمجندات يتحسسن بعض المواضع من أجسادهم، ويتندرون بهم، مما دعا الهيئات العالمية إلى استنكارها وشجبها وإظهار الاشمئزاز"([1].([

هذه هي الكرامة والحرية ومحاربة الإرهاب التي تدعيها أمريكا وحلفاؤها وأولياؤها من الحكومات العلمانية، والليبراليين المنافقين من بني جلدتنا، كهدف لها في غزوها للعراق وبلدان المسلمين!

وها هي أمريكا اليوم تصول وتجول في سماء العراق، يساعدها التحالف الدولي، تضرب مناطق أهل السنة وأهلها، وتمهد الغطاء الجوي للحشود الشعبية الرافضة؛ لتستولي على أماكن وبلدان أهل السنة، كل ذلك بحجة محاربة تنظيم الدولة الإسلامية الإرهابي، فها هي الرمادي، والفلوجة، وتكريت، والقرمة، والموصل، وغيرها من أماكن تواجد أهل السنة، دمرت وأبيدت، فبم يفسر هذا من حملة الصليب وحلفائهم؟ إنه لا تفسير لذلك إلا أنها حرب صليبية باطنية، يقصد منها القضاء على أهل السنة، والتمكين للرافضة الجبناء الخونة، الذين أثبتوا عمالتهم لليهود والنصارى وخيانتهم لأمتهم.

وأما ما فعلته أمريكا -وتفعله الآن- بمعاونة حلفائها الكفرة في بلاد الأفغان، فلا يقل عما حصل في العراق من قتل وتدمير، وزادت عليه ما تقوم به منذ عدة سنوات من قتل للمسلمين، بطائراتها المقاتلة دون طيار، ويرى الصحفي البريطاني "روبرت فيك" تحت عنوان: "إرهاب الحرب ضد

الارهاب" أن الغرب بحضارته أصبح مجرم حرب، منذ قرار حرب أفغانستان، وتجييش الجيوش والتحالفات لها، قبل إعلان الأدلة والوثائق المدنية لهؤلاء أو هؤلاء"، وهذا ما عبر عن معناه وزير العدل الأمريكي السابق "رمزي كلارك" في مقالة مع قناة الجزيرة القطرية، حيث وصف عمليات القصف الأمريكي على أفغانستان بأنها جرائم حرب بالتأكيد، وجرائم ضد الإنسانية وضد السلام(5.(

ولا يخفى ما مارسته وتمارسه في سجون "جوانتنامو" من تعذيب، وإهدار لكرامة الإنسان وحقوقه.

فسبحان الله العليم الحكيم العزيز الرحيم الحليم.

وأخيراً: ها هم الروس والباطنيون الرافضة في إيران والعراق ولبنان، بمشاركة ومباركة من أمريكا وأوليائها، يتحالفون الآن في حرب شرسة على أهل السنة المسلمين في سوريا، وبلاد الشام، لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، يقتلون الأطفال والنساء والشيوخ، ويقاتلون رموز الجهاد والسنة، والغرب والشرق يؤيدهم علناً أو سراً، فسبحان الله العظيم، ما أحلمه وأحكمه وأرحمه.

وهل بعد ذلك من شك في أنها حرب عالمية على أهل السنة؟

ونقلة إلى عدوان اليهود الفجرة على إخواننا السنة في فلسطين، بمساعدة ومباركة أمريكا الطاغية، ولاسيما ما يحصل في غزة، من حصار ظالم، وتدمير للبيوت على أهلها، وقتل للنساء والأطفال، ترينا حقد الكفرة على أهل السنة، وحرصهم على إبادتهم، وإفساد أديانهم وأموالهم وأعراضهم.

أما إذا جئنا إلى ما يدور في اليمن وليبيا، فسنجد نفس المخطط والأهداف الأمريكية، في حرب السنة وأهلها بارزة في أحداث هذين البلدين، حيث تستميت أمريكا الطاغية في أن لا ينتصر أهل السنة، وأن لا يهزم الحوثيون الرافضة، ولا العلمانيين الموالين لها في ليبيا؛ لأنه بهزيمتهم يتمكن أهل السنة -أعداؤها- من حكم البلاد بشريعة الإسلام، ولذلك فهي تسعى بطائراتها المسيرة في اغتيال رموز أهل السنة، وبتكليف بعض حكومات الخليج -كالإمارات- بتتبع رموز أهل السنة ودعاتها في اليمن، وتصفيتهم جسدياً بالاغتيالات، أو سجنهم وتغييبهم عن الساحة اليمنية وقيادتها. وقل مثل ذلك في دعم أمريكا للسيسي المجرم في مصر، وتأييدها لانقلابه على الإخوان المنتخبين، وتناست تبجحها ا بالديموقراطية، واحترام حرية الشعوب في اختيار من يحكمها، ودعمت وباركت

أفعاله الإجرامية في قتله للمسالمين في رابعة العدوية والنهضة، وامتلاء السجون بخيرة رجالات مصر من الشباب والعلماء والقادة المخلصين، وأحكام الإعدامات الفظيعة.

ألا ما أقذرهم من أمة، وما أحطها من دولة، وما أعظم نفاقها وإجرامها.

إنها -والله- حرب عالمية لم يشهد مثلها في تاريخ المسلمين اجتمعت فيها ملل الكفر بقيادة دولة الكفر والطغيان: أمريكا، وذلك سعياً منها لتنفيذ مشروعها الإجرامي القذر في حربها للإسلام السني، وصدها عن سبيل الله -عز وجل-، ولكن: (وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [التوبة: 32].

ويبقى في الحديث عن المحور العسكري في حرب أهل السنة: أن نتعرف على أهم الأهداف الخبيثة لهذه الحملة البائسة:

الهدف الأول: احتلال بلدان المسلمين، والتمكن من أدوات التوجيه في البلدان المحتلة، واستخدامها في إفساد عقائد وأخلاق المسلمين وأعراضهم، ونشر الرذيلة بينهم وبث الشقاق بينهم.

الهدف الثاني: مساومة أهل السنة من الدعاة والمجاهدين، ومحاولة احتوائهم تحت ضغوط حرب الإبادة، التي يشنونها ليحصلوا على تنازلات منهم في أمر دينهم.

الهدف الثالث: اضطهاد المسلمين السنة في البلدان التي احتلوها، بقتلهم وسجنهم وتشريدهم، واغتيال رموزهم ومرجعياتهم من الدعاة والعلماء، وإضعاف التيار السني، وذلك لينفردوا بتغريب مجتمعات المسلمين، والقضاء على روح الجهاد لديهم، وإسقاط جدار الولاء والبراء، الذي يرفعه أهل السنة في وجوه الكفار، والذي طالما أزعجهم.

الهدف الرابع: الاستيلاء على خيرات المسلمين والتحكم في مقدراتهم واقتصادهم وثرواتهم.

الهدف الخامس: استخدام البلدان التي احتلوها في أن تكون مقراً لقواعدهم العسكرية والاستخباراتية لتوسيع نفوذهم.

الهدف السادس: التمكين لأوليائهم في تلك البلدان من المنافقين والعملاء من ليبراليين ورافضة وصوفية -من بني جلدتنا- وتسليمهم مقاليد الأمور في بلدانهم، ليتولوا حرب أهل السنة بأنفسهم، والسعي إلى تشويه عقيدتهم وتغيرها.

ثانياً: الحرب الفكرية:

وهذا النوع من الحرب أشد خطراً من الحرب العسكرية بل إن الحرب العسكرية إنما هي أداة لتمكين الفكر الكفري والغربي في أمة الإسلام وتشويه للعقيدة الربانية التي يتبناها أهل السنة المسلمين.

والحرب العسكرية تكون في العادة مؤقتة بتحقيق أهدافها، أما الحرب الفكرية فهي مستمرة بين الحق والباطل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ويمكن بيان هذا النوع من الحرب في الفقرات التالية:

الفقرة الأولى: سبق ذكر بعض المقولات عن صناع القرار في الحكومة الأمريكية التي يؤكدون فيها على أهمية الحرب الفكرية على أهل السنة من المسلمين لتشويه عقائدهم وإقناعهم بالفكر الغربي أو ما يسمونه بالفكر الإسلامي المعتدل، وأن الحرب العسكرية لا تحقق لهم أهدافهم ما لم يصاحبها حرباً فكرية، وأعيد هنا قول أحد طواغيتهم وزير الدفاع الأمريكي في حكومة "بوش" المهزوم، حيث يقول: "إن الحرب تستهدف تغيير المدارك وإن المحتم الفوز فيها وعدم الاعتماد على القوة العسكرية وحدها(6).

وقد نص تقرير لجنة التحقيق في أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 م على ذلك التوجيه، حيث جاء فيه: "إن العدو الرئيسي لأمريكا هو تيار إسلامي راديكالي متطرف، تعود مرجعيته إلى أفكار ابن تيمية وسيد قطب، ولا يوجد مجال للتصالح مع هذا التيار، ولابد من عزله وتصفيته تماماً، لكن لابد أولاً من منازلته في ميدان حرب الأفكار، من أجل كسب الغالبية المحايدة التي يمكن أن تتحول إلى متعاطفة معه."

وجاء في تقرير "راند" الشهير: "بناء شبكات إسلامية معتدلة" أن الولايات المتحدة اليوم تقود حربًا على الصعيدين الحربي والفكري، فهي تقود معركة بالأفكار، حيث لن تكون الغلبة على الجانب الآخر إلا بتشويه الأيديولوجيات المتطرفة في أعين معتنقيها ومؤيديها.

الفقرة الثانية: يوضح الأستاذ/ حسن الرشيدي في دراسة له بعنوان: "حملة للترويج لإسلام جديد" من إصدارات مجلة البيان في إصدارها الثاني من إصدارات "موسوعة التقرير الارتيادي" الفرق بين آلية الغزو الفكري الذي بدأ بعد الاستعمار في القرن الماضي، وبين آلية الحرب الفكرية الجديدة، فيقول: "فحروب الأفكار التي شنتها الغرب عندما استتب له احتلاله لمناطق العالم الإسلامي، منذ أواخر القرن التاسع عشر كانت حملة لفرض أفكاره وتوجيهاته، ولذلك أطلق عليها

المفكرون المسلمون في هذه العصور: "الغزو الفكري"، وشرعوا في تسطير الأدبيات في مواجهة الفكر الغربي، وبيان جذوره، وإظهار عواره وضرره على الأمة والإنسانية.

كان ما اصطُلِح على تسميته: الغزو الفكري موجهاً للأمة بعمومها، وهو أخطر من الغزو العسكري؛ لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية، وسلوك المسارب الخفية في بادئ الأمر، فلا تحس به الأمة المغزوة، ولا تستعد لصده، والوقوف في وجهه، حتى تقع فريسة له، وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه، وتكره ما يريد منها أن تكرهه.

ولكن بمرور الوقت وتعاقب الأزمات ظهرت الصحوة الإسلامية، وتصدت لهذه المحاولات حتى أصبحت هذه الفئة العلمانية معزولة عن الجماهير، لا تستطيع التوغل في الأمة بأفكارها ومعتقداتها، وخاب ظن الغرب في شأن هذه الطائفة، بتراجع الاهتمام بمنطقة الشرق الاوسط عموماً، ولكن مع تجدد الاستراتيجيات التغريبية بذراعها الأمريكي، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، واصطدام الجيوش الغربية بالمقاومة الإسلامية في مناطق عديدة، بدأ التفكير من جديد في مرحلة أخرى من الغزو الفكري، أصبح يطلق عليها "حرب الأفكار" عبر عنها الكاتب الأمريكي "توماس فريدمان" الذي نشر مجموعة مقالات، حاول فيها شرح وتحليل مفهوم أو مقولة حرب الأفكار، حيث يرى أنها بصورة أساسية ينبغي أن تكون في داخل المجتمعات الإسلامية نفسها، وبإشراك المعتدلين في هذه المعركة، فهو يعتقد أن الأكثر أهمية هو إيجاد سبل لجعل المجتمعات التي يأتي منها هؤلاء الأصوليون، هي التي تردعهم أولاً، فهي -أي هذه المجتمعات- الوحيدة التي تعرف أناسها، وهي الوحيدة أيضاً -حسب تقدير "فريدمان"- القادرة على كبح متطرفيها، ودعا الغرب لتبني أساليب وتكتيكات تساهم في تعزيز مكانة ونشاط هؤلاء المعتدلين(7).

فالجديد في هذه الحملة أن الهدف الرئيسي لحرب الافكار الجديدة هو: تشويه معتقدات المسلمين في أعين معتنقيها، وتفريغ الإسلام من مضمونه وأصوله.

كما أن الجديد فيها أيضاً من خلال تقرير "راند" وكلام "فريدمان" السابق: أن التركيز والاعتماد في تنفيذ هذه الحرب على ما يسميهم التقرير بالمعتدلين من المنتسبين إلى الإسلام، كدعاة الإسلام الديموقراطي والليبرالي والعصراني، وعلى الصوفية والشيعة الرافضة الذين يجتمعون على الخرافة والبدعة والشرك بالله -عز وجل.-

ويوصي تقرير "راند" بأن تدعم الإدارة الأمريكية هذه التيارات المعتدلة المناوئة للتيار السني السلفي، لكي تتصدى لهذه التيارات السنية الجهادية، وأطروحاتها، والتي يجب محاربتها، وإسقاطها،

وتشويهها، والقضاء عليها، وفي هذا الاطار يجب تشجيع الاتجاهات الصوفية والشيعية، ولولا التشيع ما كان التصوف، ويجب دعم ونشر الفتاوى الشاذة لتقف في مقابل النصوص الصحيحة التي ترتكز عليها الوهابية السلفية وتعظمها.

الفقرة الثالثة: المعتدلون في نظر أمريكا: ذكر التقرير الصادر من مؤسسة "راند" في ربيع الأول 1428 ماذا يقصد الأمريكيون بالمعتدلين الذين تحرص على دعمهم، وتوظيفهم في تشويه العقيدة الصافية عند المسلمين.

وذكر هذا التقرير بعض الملامح الرئيسية التي يمكن من خلالها تحديد الاتجاهات الإسلامية المعتدلة، ومن أهمها:

-1القبول بالديمقراطية: يعتبر قبول قيم الديمقراطية الغربية مؤشراً مهماً على التعرف على المعتدلين، فبعض المسلمين يقبل بالنسخة الغربية للديمقراطية، في حين أن بعضهم الآخر يقبل منها ما يتواءم مع المبادئ الإسلامية، خصوصاً مبدأ "الشورى"، ويرونه مرادفاً للديمقراطية.

كما أن الإيمان بالديمقراطية يعني في المقابل رفض فكرة الدولة الإسلامية.

-2القبول بالمصادر غير المذهبية في تشريع القوانين: وهنا تشير الدراسة إلى أن أحد الفروق الرئيسية بين الإسلامين المتطرفين والمعتدلين، هو الموقف من مسألة تطبيق الشريعة، وتؤكد الدراسة أن التفسيرات التقليدية للشريعة لا تتناسب مع مبادئ الديمقراطية، ولا تحترم حقوق الإنسان.

-3احترام حقوق النساء والأقليات الدينية "حسب النظرية الأمريكية": وفي هذا الصدد تشير الدراسة إلى أن المعتدلين أكثر قبولاً بالنساء، والأقليات المختلفة دينياً، ويرون بأن الأوضاع التمييزية للنساء والأقليات في القرآن يجب إعادة النظر فيها، نظراً لاختلاف الظروف الراهنة عن تلك التي كانت موجودة إبان عصر النبي محمد -صلى الله عليه وسلم.-

-4 نبذ الإرهاب والعنف غير المشروع "حسب النظرية الأمريكية": وتؤكد الدراسة هنا على أن الإسلامين المعتدلين يؤمنون -كما هو الحال في معظم الأديان- بفكرة "الحرب العادلة"، ولكن يجب تحديد الموقف من استخدام العنف، ومتى يكون مشروعاً أو غير مشروع.

إن من يقرأ هذه الملامح والصفات يدرك على الفور: أن تعريف الاعتدال بالمفهوم الأمريكي لا يعبر إلا عن المصالح الأمريكية الهادفة إلى تحويل المسلمين بعيداً عن الإسلام، تحت دعوى الاعتدال العالمي.

الفقرة الرابعة: انتهت مراكز الأبحاث الأمريكية إلى أن التيار السلفي -العلمي والجهادي- هو عدوها اللدود الذي شكل مصدر قلق وإزعاج وخوف منذ ظهوره وانتشاره؛ لأنه ينطلق من عقيدة الولاء والبراء، وبغض الكافر وجهاده، ونبذ الشرك بجميع صوره، وبتحديد هذا التيار -من قبل مراكز البحوث الأمريكية، وأنه الأخطر على الغرب الكافر- وضعوا في حربه ثلاث طرق تحدث عنها الأستاذ/ أحمد فهمي -حفظه الله تعالى- فقال: "الطريقة الأولى: استبدال السلفية: يقوم مفهوم الاستبدال على قيام جهات الضغط الغربية -بطرق غير مباشرة غالباً- بتحفيز وتشجيع تيارات ومناهج أخرى، لكي تقوم كبديل للمنهج السلفي في الدول الإسلامية، وترتكز فكرة الاستبدال على وجود رغبة عامة وعارمة لدى الجماهير في التدين.

وانبعاث هذه الفكرة -التبديل بين أنماط التدين- في العقلية الغربية وتناميها لدرجة القناعة، يدل على تطور خطير في نظرتهم وتفسيرهم للسلوك الديني للمسلمين، وقد كانت الفكرة القديمة تنحصر في تجفيف منابع التدين، واستبدال الدين بأفكار علمانية براقة، ولكن مع فشل هذه الفكرة، بدأ الكثيرون ينتقلون إلى مرحلة تالية، وهي: فلندع المسلمين يتدينون كما يريدون، لكن فلنقدم لهم نحن "التوليفة" المناسبة للتدين.

وتكمن خطورة السلفيين بالنسبة لخصومهم في: أنهم يقودون الناس في قطار سريع يصلهم مباشرة بين الواقع ومصادر التشريع، أما غيرهم من التيارات فيأخذون الناس في جولة سياحية تطول وتقصر بحسب المنهج، وأحياناً تتحول الرحلة بمجردها إلى هدف منشود.

والعناصر الرئيسة المتضمنة لـ "توليفة" التدين الأمريكية:

1- رموز ودعاة مستقلون، يقدمون نمطاً متطرفاً في تسامحه واعتداله، ليبرز النمط السلفي للتدين على أنه متطرف في فهمه وتمسكه بتعاليم الإسلام.

2- غطاء وحاجز سياسي توفره التيارات السياسية التي تنظر للتيارات السلفية على أنها معوق لتقدمها السياسي، كما أنها على استعداد لتقديم تنازلات دينية في سبيل تحقيق مكاسب سياسي.

3- الربط الوثيق بين السلفية العلمية والدعوية، وبين السلفية الجهادية، بحيث يصبح الجميع منهجاً واحداً متعدد المراحل أو المستويات.

4- إفساح المجال في عدد من البلدان الإسلامية لدعاة التصوف، وخاصة الذين طوروا خطابهم في مرحلة ما بعد 11 سبتمبر، والذي يقفزون فيه على كل ما يثير الغرب في الإسلام، ويقدمون صياغة جديدة قابلة للتسويق في الثقافة الغربية.

واستكمالا لما سبق ذكره فإننا سنقدم تفصيلاً أكثر لعنصري: دعاة الاعتدال، والمتصوفة الجد.

العنصر الأول: دعاة الاعتدال:

وقد بدأ نجمهم في البزوغ في السنوات الأخيرة، وخاصة بعد 11 سبتمبر، وأهم صفتين تمثلان جواز المرور لهذه الفئة من الدعاة: أنهم يتجاوزون نقاط الاختلاف الساخنة مع الغرب، ويقفزون على قضايا الولاء والبراء، والقضايا العقدية إجمالاً، كما أنهم لا يرتبطون غالباً بأي انتماءات لجماعات إسلامية عليها علامات استفهام غربية.

العنصر الثاني: المتصوفة الجدد:

ونحتاج إلى بعض التفصيل لهذا العنصر نظراً لأهميته وخطورته على الدين الحق، وهناك دلائل كثيرة تشير إلى أن السياسة الأمريكية باتت تنظر إلى الصوفية "المعدلة" على أنها يمكن أن تمثل بديلاً مناسباً للتدين لدى عامة المسلمين، ونذكر فيما يلي بعض هذه الدلائل، ثم نقدم نموذجين للمتصوفة الجدد:

– في عام 2003م عقد مركز نيكسون للدراسات في واشنطن مؤتمراً عنوانه "فهم الصوفية والدور الذي ستلعبه في السياسة الأمريكية" وكان من أبرز الحضور الدكتور برنارد لويس، وهو من أبرز الناقمين على الإسلام، والدكتور كوركوت أوزال شقيق الرئيس التركي الأسبق تورجوت أوزال، ومحمد هشام قباني رئيس المجلس الإسلامي الأمريكي.

– ووزع في المؤتمر دراسة بيانية توضح الجماعات والمذاهب الإسلامية والمنتمين إليها، وجاء فيها أن مجموعة السلفية هم الذين ينتمون إلى مدرسة ابن تيمية، وأطلقوا عليها: "مجموعة الإسلام السياسي"، ووضعوها داخل دائرة حمراء، واعتبروا من بينها: الوهابية – الجماعات الفلسطينية الإسلامية – الجماعات الإسلامية السلفية – حزب التحرير – جماعة التبليغ.

– يعتبر المجلس الإسلامي الأمريكي الصوفي الذي أسسه هشام قباني مصدراً مهماً للمعلومات لدى الإدارة الأمريكية عن الإسلام والمسلمين، وكان بول وولفويتز مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق يعقدان لقاءات دورية مع أعضاء المجلس للتشاور معهم حول قضايا الإرهاب "الإسلامي."

وقد استرعى انتباه متخصصين أمريكيين الصراع بين الحركات الإسلامية السلفية، وبين الطرق الصوفية، ولذلك قررت الإدارة دعم الصوفية، ولكن بصورة غير مباشرة، وذكرت المجلة الأمريكية أنه في إحدى الدول العربية في شمال إفريقيا دعا قادتها في هدوء زعماء الصوفية المحليين، وقدموا لهم ملايين الدولارات كمعونة لاستخدامها كحصن ضد الأصولية المتشددة.

كما أوصت لجنة في الكونجرس الأمريكي مختصة بالحريات الدينية، بتشجيع الحركات الصوفية في العالم الإسلامي، والحال هكذا؛ فليس غريباً أن تنشر مجلة يو إس نيوز الأمريكية أن واشنطن

تسعى لتشجيع ودعم الحركات الصوفية، كإحدى وسائل التصدي للجماعات الإسلامية، ويشمل ذلك تشجيع إعادة بناء الأضرحة وترجمة المخطوطات الصوفية القديمة، ويعتقد استراتيجيون أمريكيون أن أتباع الصوفية ربما كانوا من بين أفضل الأسلحة الدولية ضد الإسلاميين "المتشددين!(8).

ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى نموذجين يمثلان التيار الصوفي الجديد: أولهما: الداعية علي الجفري، والثاني: الدكتور محمد هشام قباني المقيم في الولايات المتحدة.

فالأول -الجفري- برز بقوة عن طريق مواعظه للنخبة الفنية، والطبقة الغنية في مصر، ثم عبر الفضائيات؛ وذلك بعد 11 سبتمبر، وبدا أن الطريق أمامه مفروش بالورود؛ ففي خلال وقت قصير زار الولايات المتحدة، وطاف في تسع ولايات، وألقى دروساً ومحاضرات بعضها في جامعات أمريكية.

والنموذج الثاني "هشام قباني" -من أصل لبناني- الذي أسس ما يسمى المجلس الإسلامي الأعلى، وهو منظمة صوفية في الولايات المتحدة، ويحظى الرجل بدعم كبير من الإدارة الأمريكية، ودُعي إلى البيت الأبيض والخارجية، وألقى محاضرات على مسؤولين في واشنطن، إحداها كانت بعنوان "التطرف الإسلامي وخطورته على الأمن القومي الأمريكي."

ويبدي الدكتور هشام قباني عداءً خاصاً للسلفية، ممثلة في الدعوة الوهابية، ويُعتبر أحد مصادر المعلومات والتحريض ضدها في أمريكا، وهو يعرض الصوفية كبديل واضح للوهابية، فيقول مخاطباً من يعنيه الأمر: "علِّموا الطلاب الصوفية، يجب أن يتعلم الطلاب كيف يصبحون محبين للسلام، وكيف يصبحون جزءاً من المجتمع الكبير؛ فالوهابية تحرض الطلاب على أن لا يكونوا جزءاً من المجتمع الكافر، ولكن ينبغي الاندماج والتكامل مع النظام الذي يعيش فيه المرء، أما الدين فمسألة بين المرء وبين الرب، هكذا يقول الإسلام" (نقلاً عن صحيفة صنداي استريت تايمز، موقع إسلام ديلي.(

الطريق الثاني: احتواء السلفية:

هناك فكرة دقيقة تحتاج إلى تأمل وهي وجود فرق بين السلفية والسلفيين، وهذا يعني أنه عندما نتحدث عن احتواء السلفية كفكر، فهذا يختلف عن احتواء السلفيين، كحاملين لهذا الفكر، واذا كان احتواء الفكر أهم وأخطر من احتواء حامليه من وجهة نظر الخصوم، إلا أنه لن يمكن احتواء الفكر إلا بعد احتواء حامليه، أو على الأقل احتواء عدد ممكن من رموز السلفيين وأتباعهم، وبات من الأمور المعتادة أن نجد جماعات ورموزاً سلفية لهم مذهبان قديم وجديد.

والخطة التي تنفذ اليوم لاحتواء السلفيين، ومن ثم السلفية في الوقت الحالي، هي في ممارسة مزيد من الضغوط والحصار عليهم، وأخطر وسائل الضغط -وعلى غير ما يتوقع الكثيرون- هو أن يفتح المجال أكثر للرموز السلفية كي يخرجوا من ميدانهم الرئيسي، ويبرزوا للعلن وللجماهير، من خلال الإعلام، وفي ميادين لا يملكون أدواتها، حيث يواجهون عالماً تغيرت مفاهيمه وثوابته، وأصبحت له قواعده الخاصة، وعندها سيجد السلفيون المطروحون للعلن أنه لا بد من تقديم جوازات المرور، المتمثلة في التخلص من عبء بعض الثوابت، ولا بأس من طمأنة الغيورين، ودغدغة مشاعرهم بأنه لا يوجد تغير أو تراجع، ولكن كل ما في الأمر أنه لا بد من التعامل مع الإعلام بقدر من المداراة والمواربة.

وهناك آلية أخرى لاحتواء الفكر السلفي وهي: ضغط الاعتقال، وقديماً كانت السجون تعتبر أحد محفزات الغلو والتكفير كما حدث في مرحلة الستينيات في مصر، ولكن في السنوات الأخيرة أصبحت السجون عاملاً حافزاً للتراجعات والمراجعات كما حدث مع الجماعة الإسلامية في مصر أيضاً.

الطريق الثالث: إقصاء السلفية:

في أوقات سابقة في بعض الدول الإسلامية كان تصريح أحدهم: أنا سلفي، يعد بمثابة إذن مرور لممارسة كثير من الأنشطة والتحرك الدعوي بحرية ويسر، ولكن الآن أصبح الوضع مختلفاً، وأصبحت السلفية في قفص الاتهام في بلدان كثيرة، وبات السلفيون تحت المجهر؛ فما الذي تغير؟ إنه ببساطة: الإقصاء.

والمنطلَق الأول لتبرير وتسريع إقصاء السلفية، هو: الربط التعسفي بين السلفية العلمية، والسلفية الجهادية(9) إنها إذن استراتيجية متعددة المراحل: استبدال – احتواء – إقصاء. وهذا يعود بنا إلى السؤال المطروح في مقدمة المقال عن كيفية مواجهة التيارات السلفية؛ فالإجابة الصحيحة تتضمن الخيارات الثلاثة، وليس خياراً واحداً.

ولا ريب في أن هذا التنوع في مواجهة السلفية يبدو متناسباً أكثر مع كون التيارات والفكر السلفي يتفاوت حجمه، ومستوى انتشاره بين البلدان الإسلامية، ومن ثَم لا بد أن تختلف طرق مواجهته من المنظور الغربي؛ فبعض الدول حققت إنجازات مسبقة، وتجاوزت مرحلة الاستبدال بالفعل، وهي الآن ما بين الاحتواء والإقصاء مثل مصر، وبعض الدول تجاوزت المراحل الثلاث مثل تونس وليبيا، ودول أخرى لا تزال بين الاستبدال والاحتواء. هذا التحليل يفرز لنا نتيجة بالغة الأهمية، وهي أن سياسة الاحتواء تمثل عاملاً مشتركاً حالياً في عدد كبير من الدول الإسلامية(10).

ويقول الباحث د/ عبد الوهاب المسيري: "مما له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام يشجع الحركات الصوفية، ومن أكثر الكتب انتشاراً الآن في الغرب مؤلفات محي الدين ابن عربي، وأشعار جلال الدين الرومي، وقد أوصت لجنة الكونغرس الخاصة بالحريات الدينية بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية، فالزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يُضعِف -ولا شك- صلابة مقاومة الاستعمار الغربي(11).

وينبه الأستاذ/ محمد بن عبد الله المقدي في مقال له طويل بعنوان: "نقض العرى.. رؤية في البديل الغربي للتيار السلفي" على مظاهر تستدعي الانتباه فيقول: "حين دخلت القوات الصليبية الأمريكية والبريطانية إلى البلاد الأفغانية، كان أول ما قاموا به أنهم فتحوا المزارات والأضرحة، وسمحوا للموالد أن تقام وروجوا لها. يقول أحد شيوخ الطرق واسمه "صوفي محمد" -وهو في الستين من عمره- لوكالة "رويترز": "إن حركة طالبان المتعصبة أغلقت المزارات، وأوقفت الاحتفالات، ومنعتنا من حلقات الذكر والإنشاد طوال فترة حكمها، رغم أنها لم تتوقف حتى في وجود الحكم الشيوعي، والاحتلال الروسي! وأنا سعيد جداً بسقوط تلك الحركة المتعصبة، وأمريكا سمحت لنا بممارسة طقوسنا، وإقامة موالدنا، ونحن نشكر لها ذلك وبشدة" هكذا قال وهكذا فعلت أمريكا: فتحت الأضرحة، وأقامت الموالد لإحياء البدعة، ومحاربة السنة، ولتشويه الإسلام.

* وفي صيف "2001م" شنت الحكومة اليمنية هجمة شرسة على جميع المعاهد الدينية بحجة مكافحة الإرهاب، فقامت بإغلاقها عدا "دار المصطفى" ب "تريم" وهي تتبنى النهج الصوفي.

* وفي زيارة هامة للرئيس الباكستاني "برفيز مشرف" إلى الهند شملت إجراء محادثات مع رئيس الوزراء الهندي "مانموهان سينج" توجه الرئيس "مشرف" لولاية راجستان -بغرب الهند- لزيارة ضريح إسلامي بارز، ثم توجه إلى العاصمة دلهي.

* وفي 16 شوال 1426 حضر مولد البدوي السفير الأمريكي في القاهرة، معلناً عن إعجابه الشديد بعالم التصوف الإسلامي، لافتاً إلى ما تنطوي عليه الصوفية من تسامح، وما تجسده من قيم ومبادئ إسلامية رفيعة، مثل الحق والخير والجمال!

* وقام الرئيس الجزائري "عبد العزيز بوتفليقة" بزيارات مكثفة، لعدد من زوايا وأضرحة "الأولياء والصالحين" المنتشرة في مختلف أنحاء الجزائر؛ لزيادة شعبيته لدى عدد كبير من الجزائريين، الذين يتبركون بهؤلاء الأولياء، وذلك قبيل الانتخابات الرئاسية التي أقيمت في الثامن من إبريل "2004م."

* وفي العراق أيضاً -في مدينة كركوك- أوضح عدد من أهالي المدينة أن مِن المتصوفة في المدينة مَن أخذوا يهادنون الاحتلال والحكومة المعينة، خوفاً من الاعتقال، خاصة شيخ الطريقة الكسنزانية ويدعى محمد الكسنزاني، والذي أعلن قبل أشهر أن الجهاد في العراق ينبغي أن تنطبق عليه عدة شروط قبل إعلانه منها: صفاء القلب، وتحقيق الصلة بين العبد وربه. وهو ما أثار حفيظة المقاومة العراقية، وأهالي المدينة على حد سواء(12).

ولعل ما أراد الكاتب لفت النظر إليه هو أن المشروع الأمريكي في استخدام التيار الصوفي لحرب التيار السلفي يساعده في ذلك كثير من حكام الشعوب المسلمة، تلك الحكومات العلمانية التي تعادي التيار السلفي، وتقرب من التيار الصوفي لما تعلمه من أصالة المذهب السلفي، ومشروعه المنادي بتحكيم شرع الله لاطمئنانها للتيار الصوفي المعادي للمشروع السلفي.

ومما يدل على تمالؤ هذه الحكومات مع المشروع الأمريكي: استجابتها في تغيير مناهج التعليم، وحذف كل ما يشير إلى عذاوة الكفار، كالولاء والبراء، والجهاد في سبيل الله، واستجابتها وتشجيعها لابتعاث الآلاف من الطلاب إلى أمريكا للدراسة، وتغيير الأفكار والتأثر بأنماط السلوك والتربية في المجتمعات الأمريكية.

فما ظننا بحال هؤلاء المبتعثين بعد بقائهم سنوات في بلاد الكفر وما يحملون في عقولهم من الأفكار التي تأثروا بها وأثروا؟

وفي نهاية الحديث عن هذه الحرب الفكرية يمكن أن نحدد أهداف الحرب وآلياتها فيما كتبه الأستاذ/ عبد العزيز كامل -حفظه الله- في مقال له بعنوان: "حرب الأفكار بين يأس الأمريكان وبأسهم" أقتطف منه قوله: "وقد حدد تقرير لجنة التحقيق في أحداث الحادي عشر من سبتمبر هدفاً جوهرياً من أهداف "حرب الأفكار" عندما نص على أنه لا بد من منازلة التيار غير المعتدل في ميدان حرب الأفكار، من أجل كسب الغالبية المحايدة التي يمكن أن تتحول إلى متعاطفة معه.

" كسب الغالبية" إذن؛ هو الهدف والرهان الاستراتيجي، للاستيلاء على القلوب والعقول، والوصول إلى ذلك لا يكون إلا عبر تحركات تكتيكية، يكون "الدولار" فيها هو الوقود المحرك لأفكارهم، والمحرق لأفكار غيرهم، وهذا ما ذهب إليه تقرير مؤسسة "راند" السابق الصادر في "2005/4/18" بعنوان: "قلوب وعقول ودولارات"، والذي نص على أهمية مزاحمة "العدو" على عقول الناس وقلوبهم، عن طريق تسخير الدولار، في تغيير الأفكار، باتجاه العلمنة والأمركة واللبرلة.

أي باختصار: "تغيير الإسلام" في فهم واعتقاد متبعيه. لهذا فإن الحرب الأمريكية الراهنة على العالم الإسلامي، ستبقى في جوهرها -وإن سكنت المدافع- حرب أفكار، ولذلك فمن غير المتوقع أن تتوقف بشكل نهائي، أو ترتبط بتغيرات سياسية عندنا أو عندهم، لارتباط تلك الحرب بمعايير رضاهم عنا وعن عقائدنا ومبادئنا وأفكارنا، وهذا الذي لن يحصل، ما دام المسلمون مسلمين، والنصارى نصارى واليهود يهوداً: (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) [البقرة: 120]؛ فالمعركة بيننا وبينهم ستظل دائماً معركة على الثوابت، بين ما عندنا من منهج الحق والهدى، وما عندهم من أفكار الغي والهوى(13).

ثالثاً: الحرب الاقتصادية:

وهذا النوع من الحرب على أهل السنة لم يعد خافياً على أحد حيث تستخدم أمريكا وحلفاؤها في المنطقة هذا النوع من السلاح، لعدة أهداف منها:

الهدف الأول: وسيلة ضغط على أهل السنة، وذلك بالتضيق عليهم في أرزاقهم، وضرورياتهم، وإضعاف معنوياتهم، حتى يقبلوا بالتنازل عن عقيدتهم، والتبعية لأعدائهم، وإضعاف أي مقاومة للغزاة والمحتلين، وقبول الهجرة من ديارهم، والأمثلة في ذلك واضحة وصارخة، وذلك في ما يقوم به اليهود من حصار خانق لأهل السنة في غزة، بدعم وتحريض الولايات المتحدة، وما يقوم به الروس وطاغية الشام والروافض من حصار لأهل السنة في حلب، وحمص، والغوطة والزبداني، لم يعد خافياً على أحد، وأمريكا من وراء ذلك داعمة ومغتبطة، وقل مثل ذلك في حصار مدن أهل السنة في العراق، من قبل الحشد الرافضي الخبيث، وما تقوم به أمريكا وحلفاؤها من دعم جوي بالطائرات، ودعم عسكري على الأرض.

الهدف الثاني: تركيع المجاهدين وقبولهم بالمساومات والتنازلات، التي يفرضها عليهم المشروع الأمريكي، من التخلي عن أهداف الجهاد، ومعاداة الكفار، بل التخلي عن مشروع الجهاد أصلاً، والقبول بحلول سياسية مهينة ومذلة.

الهدف الثالث: انفضاض الحاضنة الشعبية عن مجاهدي أهل السنة، والإيحاء إليهم أن ما يصيبهم من حصار وجوع وخوف، إنما هو بسبب المجاهدين، فينفروا عنهم، وذلك كما قال الله -عز وجل-

عن المنافقين في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ) [المنافقون: 7.[

ومن صور هذه الحرب الاقتصادية الإجرامية:

أولاً: تجفيف منابع الدعم المالي لأهل السنة، حيث بذلت أمريكا ومن يدور في فلكها كل وسعها في القضاء على أي جهة خيرية فردية أو جماعية، يدعم من خلالها المجاهدون، أو حاضنتهم الشعبية في مناطقهم المحررة، وأرهبوا الناس، وجرموا من يقوم بدعم المجاهدين، أو المدن السنية المحاصرة، وسنوا القوانين والتشريعات الإجرامية، التي تمنع من ذلك، وتجرم من يمتنع عن ذلك، فتحكم عليه بالسجن، وعلى كل من يتعاطف أو يدعم أو يحض على الدعم، وصادروا أموالهم التي جمعوها، أو جمدوها، فكم من جمعية خيرية كانت تدعم الأيتام والأرامل، وحلق تحفيظ القرآن، أُغلِقت، وسجن القائمون عليها، وكم من تاجر محسن أرهب بالسجن، وتجميد أمواله -عندما علم الظلمة أنه يدعم إخوانه من أهل السنة، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً...

ثانياً: الحصار الخانق الذي يضربه الشيعة الرافضة، بدعم عسكري من أمريكا وحلفائها، على مدن أهل السنة في العراق، كتكريت والرمادي والفلوجة والموصل، وما يقوم به الروس المجرمون، وجيش الطاغية بشار، وإيران الرافضة، وحزب الشيطان اللبناني، من حصار ظالم على مدن أهل السنة في سوريا كالزبداني، وغوطة دمشق، وحمص، وحلب، حتى مات كثير من الأطفال والشيوخ من الجوع، وانتشرت الأمراض والأوبئة بسبب نقص التغذية، وانتشار النفايات، وتلوث المياه بمياه المجاري، وكل ذلك يتم تحت سمع العالم وبصره، ومباركة وتأييد واغتباط من أمريكا الطاغية وحلفائها.

ثالثاً: التدمير المتواصل لمدن أهل السنة بالقصف الجوي، والمدفعي بمختلف الأسلحة المدمرة، التي تسعى إلى إبادة أهل السنة، وتدمير البنية الاقتصادية في تلك المدن الظاهرة منها والتحتية، بما في ذلك البيوت والعمارات، والمدارس والمستشفيات، والمزارع والأسواق التجارية، حتى انتشر الغلاء، وجرائم السرقة، ومساومة الناس في أديانهم وأعراضهم مقابل لقمة العيش – التي لم يعودوا يحصلوا عليها، بسبب هذا التدمير الممنهج.

ونظرة سريعة إلى ما حصل من تدمير رهيب للرمادي والفلوجة والموصل في العراق، أو ما كان منه في حلب وحمص وداريا في سوريا، تطلعنا على هول ما حصل في هذه المدن السنية، وكل ذلك بدعم مباشر ومشاركة من الطيران الأمريكي، ومن معه من التحالف الدولي، أو دعم غير مباشر ومباركة لما يقوم به الدب الروسي وجيش بشار من قصف وتدمير لمدن أهل السنة.

رابعاً: إنهاك اقتصاد الدول ذات الأغلبية السنية، وربطه بالاقتصاد الرأسمالي الربوي، وتوريطه في مشاكل وحروب تأكل مدخرات هذه الدول، فتعيش شعوبها في ضيق من العيش والغلاء، ليكونوا ذليلين لأعدائهم، وهذا هو الرق الاقتصادي.

خامسا: الحرب السياسية:

السياسة المعاصرة في دول العالم اليوم -ولاسيما السياسة الأمريكية- تقوم على الكذب والمكر والدجل والخداع، وهذه التي يسمونها بالدبلوماسية والميكافيلية، والتي تقوم على سياسة ذي الوجهين، أو الكيل بمكيالين، حسبما تقتضيه مصلحة الدول، وقد فضح الله -عز وجل- هذه السياسة بقوله عز وجل: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) [المطففين: 1 – 3].

ومن سياسة الدجل والكذب والتضليل التي تمارسها دولة الكفر والطغيان -أمريكا- في حربها السياسية على أهل السنة:

أولاً: اختراعها مصطلح "الحرب على الإرهاب" في مواجهة وقتال كل من يعاديها، ويقاوم غزوها واحتلالها، ووصف المجاهدين -بناء على ذلك- بالإرهابيين، وكل من لم يكن معها فهو ضدها، واستخدمت هذا المصطلح في إعلامها، وإعلام الدول المتحالفة معها، حتى كاد هذا التلبس والخداع أن ينطلي على كثير من الناس، ثم هي -وبكل صفاقة، وقلة حياء، وعدم احترام لعقول الناس- تصف إرهابها وتدميرها وقتلها الممنهج بأنه دفاعاً عن الحرية والعدالة والكرامة، ونشر وإحياء لها في مناطق أهل السنة التي تدمرها وصدق القائل: "رمتني بدائها وانسلت."

ثانياً: تشويه المنهج السلفي وعلمائه ودعاته ومجاهديه، وإشعال الحرب الإعلامية المضادة لهذا المنهج ورموزه، ورميه بأبشع التهم، ووصفه بمنهج الكراهية والقتل والعدوان، والوقوف أمام

التطور والتقدم، وتسميتهم بأصحاب الإسلام السياسي الذي يسعون فيه إلى تصفية كل من خالفهم، وإقصاء وإلزام الناس بأحكام الإسلام القاسية التي تهدر حقوق الإنسان! زعموا.

ثالثاً: تشويه صورة المجاهدين بما تبثه وسائل الإعلام المختلفة من أكاذيب وافتراءات مختلقة ومفبركة، تصور المجاهد بأنه مصاص دماء، غاصب للنساء، لاهث وراء الدنيا والمناصب والزعامات.

رابعاً: ومن أخطر سياساتها الإجرامية العمل بمبدأ: **"فرق تسد"** فجندت كل ما تملك من استخبارات وأموال وعملاء، وضغوط عسكرية واقتصادية، في استمالة فريق من المجاهدين على حساب الفريق الآخر، وسعت لبث الفرقة والاختلاف، وتبادل التهم بين المجاهدين، حتى وصل الأمر ببعض الفصائل إلى الاقتتال والاحتراب فيما بينها.

خامساً: وجهت عملاءها من المنافقين إلى اختراق صفوف بعض الفصائل الجهادية حتى وصلوا إلى قياداتها، أو ما يقرب منها، ووظفوا هذا الاختراق في التجسس على المجاهدين، وفي دفعهم إلى مواقف يريدونها، ولا يحمد المجاهدون عقباها.

سادساً: محاولة إجهاض المشروع الجهادي، وجر بعض الفصائل المجاهدة إلى طاولة المفاوضات، والحلول السياسية السلمية، بعد أن اقنعتهم بعدم جدوى الحلول العسكرية، وبث روح الإحباط واليأس في نفوس المجاهدين.

سابعاً: الرق السياسي الذي تمارسه أمريكا على دول أهل السنة، بحيث يكونوا تابعين لها في مواقفها السياسية.

ثامناً: ومن سياسات أمريكا الخبيثة تجاه السنة وأهلها ومجاهديها: أنها تفتعل في مناطقهم مشاكل وأزمات، قد جهزت مسبقاً حلولاً لها، ثم بعد حدوثها تساهم في تحقيق أهداف لها من افتعال هذه الأزمات.

تاسعاً: الكيل بمكيالين إزاء حوادث القتل والعدوان وحقوق الانسان، فإن كان المقتول في ديار المسلمين والسنة من المسلمين، ولو كان بالألاف من الأطفال والنساء والشيوخ، فلا تحرك، ولا يقظة ضمير، ولا تعاطف مع المقتول، ولا كف للظالم القاتل، ولا مكان لحقوق الانسان، هنا أما ان

كان المقتول علج من علوج الكفار في ديارهم، أو خارج ديارهم، فإن الانكار والشجب، وتهديد الجاني، والتعاطف مع الضحية، هو المسيطر على الموقف، بل قد تتخذ إجراءات عملية رادعة وهنا يرفع شعار حقوق الانسان وكرامته والحرب على الارهاب.

عاشراً: السيطرة على مجلس الأمن "الخوف" وعلى قرارات هيئة الأمم، حيث تقرر وتنفذ أمريكا من خلال مجلس الأمن وهيئة الأمم -باسم الشرعية الدولية- ما تريده من المواقف والواضح حيفها وضررها على أهل السنة وقضاياهم، وليس للمجتمعين إلا الموافقة.

خامساً: الحرب على الأخلاق والسلوك:

إن الحرب على الأخلاق والقيم الفاضلة تزداد يوماً بعد يوم، ولم يعد خافياً على أحد ذلكم الطوفان الذي يبذل فيه المفسدون جهدهم من خلال وسائل الإعلام، والقنوات والشبكة العنكبوتية، في إفساد أخلاق المجتمعات المسلمة، وبث الانحلال في أوساط شباب الأمة، وإفساد المرأة وتغريبها، وامتلأت بيوت كثير من المسلمين بأجهزة الفساد، التي تعج بصور النساء شبه العاريات، والأغاني الماجنة، وامتلأت شبكات الإنترنت بالمواقع الإباحية والإجرامية، وسَخِر الإعلام الموجه من العلاقات الأسرية والاجتماعية التي تحكم الأسرة والمجتمع المسلم، ولا عاصم من هذه الشرور إلا الله -عز وجل.-

إن خطورة الانحلال وفساد الأخلاق والأعراض هي باب من أبواب التبعية للغرب الكافر، وعلى رأسه: أمريكا الطاغية.

وإذا انحلت أخلاق الأمة سهل تغريبها، ومن ثم سهل غزوها، ذلك أن في ذهاب الأخلاق مدعاة للذلة والمهانة، وعدم القدرة على المقاومة، والانحلال من أقوى الأسباب التي تُسَهل للعدو الغازي احتلال البلاد والعباد.

كما أن في ذهاب الأخلاق ورق السلوك ضعف العقيدة، وضعف أركانها من الولاء والبراء، والاخلاص والتوكل، والخوف والرجاء، وهذا ما يبغيه أعداء الأمة الكفرة الذي ما فتئوا يسعون لحرف الناس عن عقيدتهم، وتفريغ الإسلام من مضمونه، ليصبح إسلاماً بالهوية، أو إسلاماً على الطريقة العلمانية الأمريكية.

والعدو يدرك أن نجاحه في حرب الأخلاق يسهل نجاحه في حرب الأفكار.

واجبنا في مواجهة هذه الحرب:

أولاً: يقول الله -عز وجل-: (انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [التوبة: 1] إنه لا خيار للمسلم بعد قراءة هذه الآية وفهمها في ظل الواقع الذي نشهده اليوم، وفي هذه الحرب المشبوبة على أهل السنة بمحاوره الخمسة التي ينطلق منها العدو الكافر في حربه وغزوه لبلدان المسلمين من أهل السنة، وفتنهم في دينهم وأنفسهم وعقولهم وأموالهم وأعراضهم.

نعم لا خيار لمسلم يعي هذا الواقع ويعي حقيقة أعداء الأمة وأهدافها أن يقعد متفرجاً بارد القلب.

إن جهاد أعداء الله الكفرة أصبح متعيناً على كل مسلم -حسب قدرته، وجهده، وعلمه- وأعني بالجهاد هنا: كل أنواع الجهاد المذكور في كتاب الله -عز وجل-، وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-: "الجهاد بالسنان والجهاد باللسان والبيان والجهاد بالمال"، قال الله -عز وجل- عن جهاد البيان بالقرآن: (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) [الفرقان: 52]، وسورة الفرقان مكية لم يفرض فيها جهاد السنان والسيف بعد.

وقال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"(14).

فكما أن حرب الكفار لنا تنطلق على الصعيد العسكري بالسلاح، وعلى الصعيد الفكري العقدي، وعلى الصعيد الاقتصادي، والصعيد السياسي، والأخلاقي، كما فصلته في الأوراق السابقة ، فهذا يوجب على المسلمين أن يواجهوا كل حرب بما يناسبها ويبطلها، فحربهم العسكرية؛ تواجه بالجهاد بالسلاح في ميادين القتال. وهو ما يقوم به -نيابة عن الأمة- فصائل الجهاد المختلفة التي أثخنت في العدو، وأحبطت عليه مكره.

فجزاهم الله عن أمتهم خيراً، ونسأل الله -عز وجل- أن يثبتهم، ويجمع كلمتهم، ويوحد صفوفهم، وأن يعيذهم من الفرقة والاختلاف.

وأما مواجهة حرب الكفار الفكرية فتكون بجهاد البيان من أهل العلم، والبيان برد شبهاتهم، وبيان باطلهم، ورفع اللبس عن الأمة، وبيان دين الله الحق للناس، الذي هو سبيل المؤمنين، وبيان سبيل المجرمين.

وأما حربهم السياسية فتكون مواجهتها بفضحها، وبيان كذبها ومكرها، والحذر منها، وتحذير الناس من ألاعيبها، وإبراز السياسة الشرعية العادلة الرحيمة، وبيانها للناس، وأما حربهم الإباحية الموجهة للأخلاق والأعراض؛ فتكون بمزيد من التحصين والاحتساب والتربية لأبناء الأمة، وتوظيف جميع الوسائل الدعوية والإعلامية، والمحاضرات التربوية في التحذير من هذه الحملات، وتربية الأفراد والأسر على الأخلاق الإسلامية وتكريههم لأخلاق الكفار المنافية للشرع والعقل والفطرة، والتركيز في التربية على إقامة واعظ الله وتعظيمه وخشيته في القلوب، ومواجهة حربهم الاقتصادية؛ بتحذير الناس من نار الربا المحرقة، وبتوظيف أموال أهل السنة من المحسنين في دعم الدعوة إلى منهج السلف، وحرب المناهج الباطلة، ودعم الجهاد والمجاهدين في سبيل الله -تعالى-، وإعانة المسلمين، وأن لا يكترثوا بتخويف شياطين الجن والأنس وإرهابهم.

فهذه بعض حالات الجهاد التي تُدفَع بها حروب الكفار الموجهة لأهل السنة من المسلمين، فليختر المسلم أي نوع من أنواع الجهاد يناسبه، ويمكن أن يدافع من خلاله عن الحق وأهله، ولا عذر لقاعد بعد ذلك.

وهنا مسألة مهمة يجب التنبيه عليها ألا وهي: وجوب التعاون بين القائمين بواجب الجهاد – بمختلف مجالاته، العسكري، والفكري، والتربوي، والاحتسابي، والمالي-، وأن يكمل بعضهم بعضاً، وأن لا تُهوِّن ولا تُحقِّر طائفة -نفرت في نوع من أنواع الجهاد- جهد الطائفة الأخرى، التي نفرت في مجالات أخري، بل يجب أن يتم التعاون والمحبة والإخاء والفرح بما يتحقق من الخير، أو يندفع من الباطل، سواء تحقق هذا على يد هذه الطائفة أو تلك، وأن يكونوا أشبه بجامعة تضم كليات مختلفة التخصص، يكمل بعضها بعضاً، لأنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وإذا تحول هذا الاختلاف المحمود إلى اختلاف تضاد وفرقة، وخصومة وتحزب، فإن هذا ما يريده العدو الكافر، ويفرح به، لكونه سببا للفشل والهزيمة وذهاب الريح، قال الله -عز وجل-: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال: 46].

ثانيا: على النافرين في مواجهة حرب الكفار الشاملة على أهل السنة أن يحققوا شروط النصر والتوفيق في قيامهم لنصرة الدين، ألا وهي:

الشرط الأول: الإخلاص لله -عز وجل- في قومتهم، وعدم إرادتهم شيئاً من أعراض الدنيا، ومن الإخلاص؛ الحرص على الجماعة والائتلاف، والاستعلاء على حظوظ النفس.

الشرط الثاني: المتابعة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكونهم قائمين في أمر مشروع، وحق يحبه الله -عز وجل.-

الشرط الثالث: استعانتهم بالله -عز وجل-، وتجريد التوكل عليه سبحانه، والتبرؤ من الحول والقوة إلى حول الله وقوته، واليقين بأنه لولا الله تعالى لما حصلت الهداية، ولا التوفيق، ولا التسديد، وهذا ينفي العجب والغرور بالنفس، ويقتضي سؤال الله -تعالى- التسديد والإعانة والتوفيق.

الشرط الرابع: اتخاذ كافة الأسباب المتاحة والممكنة والمشروعة، في مواجهة أعداء الأمة، وبذل كل ما في الوسع والطاقة لنصرة هذا الدين وأهله.

الشرط الخامس: التحلي بالصبر، وعدم الاستعجال في جني الثمار، أو اعتساف الطريق.

وعن أهمية الشروط الثلاثة الأولى في حصول التوفيق والنصر والتأييد، يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-: "فإذا قام العبد بالحق على غيره، وعلى نفسه أولاً، وكان قيامه بالله، ولله، لم يقم له شيء، ولو كادته السماوات والأرض والجبال لكفاه الله مؤنتها، وجعل له فرجاً ومخرجاً ; وإنما يؤتى العبد من تفريطه وتقصيره في هذه الأمور الثلاثة، أو في اثنين منها، أو في واحد. فمن كان قيامه في باطل لم ينصر، وإن نصر نصراً عارضاً فلا عاقبة له، وهو مذموم مخذول، وإن قام في حق لكن لم يقم فيه لله، وإنما قام لطلب المحمدة والشكور والجزاء من الخلق، أو التوصل إلى غرض دنيوي، وكان هو المقصود أولا، والقيام في الحق وسيلة إليه، فهذا لم تضمن له النصرة ; فإن الله إنما ضمن النصرة لمن جاهد في سبيله، وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، لا لمن كان قيامه لنفسه ولهواه، فإنه ليس من المتقين ولا من المحسنين، وإن نصر فبحسب ما معه من الحق ; فإن الله لا ينصر إلا الحق، وإذا كانت الدولة لأهل الباطل فبحسب ما معهم من الصبر، والصبر منصور أبدا; فإن كان صاحبه محقا، كان منصورًا، وله العاقبة، وإن كان مبطلا لم يكن له عاقبة، وإذا قام

العبد بالحق لله، ولكن قام بنفسه وقوته، ولم يقم بالله مستعينا به، متوكلا عليه، مفوضا إليه، بريئًا من الحول والقوة إلا به، فله من الخذلان، وضعف النصرة، بحسب ما قام به من ذلك، ونكتة المسألة أن تجريد التوحيد في أمر الله لا يقوم له شيء البتة، وصاحبه مؤيد منصور ولو توالت عليه زمر الأعداء"(15).

ثالثاً: التحذير لمن شرفه الله -عز وجل- بنصرة دينه، والقيام بواجب مدافعة هذه الحرب العالمية الإجرامية، من أن يقع في فخ الأعداء وخندقهم، فيقدم لهم خدمة وهو لا يشعر، كأن يدعونه للقتال تحت رايتهم، وغطائهم الجوي، لقتال فصيل آخر بحجة إرهابه وجرائمه، فيصطف في صف الكفار، والواجب عليه عداوته لهم، وقتالهم، أو أن يقع في فخ آخر؛ بأن يكون له موقفاً معيناً من أخطاء بعض الفصائل المجاهدة، أو بعض الجماعات الإسلامية السنية، فيسعى جاهداً في بعض المنابر الإعلامية إلى نقدها، وتخطئة أصحابها، وإلصاق بعض التهم بهم، كتُهَم الغلو أو العمالة وغيرها. ولا شك أن هذا مما يفرح الأعداء المحاربين، ويجعلهم يسعون لتوظيفها في حرب المجاهدين، والدعاة من أهل السنة، الذين يتصدون لحرب مشروعهم الخبيث، ويستخدمون ذلك في تشويه منهجهم الذي يحملونه، ولا يعني هذا؛ السكوت عن الأخطاء، وعدم مناصحة أهلها، بل يجب أن تتم المناصحة والتحذير من هذه الأخطاء ولكن بصورة خاصة، وليست على منابر عامة، يوظفها الأعداء في تحقيق أهدافهم، وتبرير عدوانهم، وهذا مما تقرره الشريعة، ويتفق مع أصولها ومقاصدها الثابتة، ومسألتنا هذه المذكورة آنفاً تندرج تحت قاعدة سد الذرائع، حيث إن الفعل في حد ذاته قد يكون جائزا أو مستحباً، ولكن إذا كان سيؤدي إلى أمر محرم أو إلى مفسدة متحققة، فإن المتعين في هذه الحالة تركه، وقد قرر الفقهاء: أن المنكر إذا كان سيترتب على إنكاره منكر أكبر منه؛ فلا يجوز -والحالة هذه- إنكاره، والأصل في ذلك قوله تعالى: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الأنعام: 108]؛ فنهى الله -عز وجل- المسلمين عن سب آلهة المشركين، لما سيترتب على ذلك من سب الله -تعالى- ولدينه، مع أن سب آلهة المشركين جائز بل متعين وواجب أحياناً.

رابعاً: التفاؤل بنصرة الحق وأهله وبسقوط الباطل ودولته، قال الله -عز وجل-: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) [الأنفال: 36]، (إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) [آل عمران: 120]، وقال سبحانه:

(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) [الصافات: 171 – 173]؛ ففي الآية الأولى خبر يقين صادق من فاطر السموات والأرض (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا) [النساء: 87] أن مآل الكفار، وما ينفقونه في الصد عن سبيل الله -عز وجل- إلى أن يُغلَبوا، وإلى ان يرتد ذلك عليهم بالحسرة والخسران، وفي الآخرة عذاب جهنم وبئس المصير وفي الآية الثانية سنة من سنن الله -عز وجل-، وهي أن كل كيد ومكر يكيده الكفار على المسلمين فإن الله سيبطله، ويحمي عباده المؤمنين من شره وضرره، ولكن ذلك مشروطاً بقوله تعالى: (وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا) [آل عمران: 120]، والصبر والتقوى يقتضيان إخلاص العمل لله تعالى، والمتابعة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والاستعانة بالله وحده، وصدق التوكل عليه، والتبرؤ من الحول والقوة، إلا به وسلامة القلوب واجتماعها وتآلفها.

ومما يؤكد قرب نصر الله -عز وجل-، وسقوط المحاربين والكائدين لدين الإسلام وأهله: علامات بدت وملامح ظهرت في تصريحات وممارسات وأحوال الغرب الكافر بقيادة دولة الكفر والطغيان؛ منها:

أولاً: اعترافات الكفرة بفشل حربهم وبأسهم: يقول د/ عبدالعزيز كامل: لقد بدأوا يعترفون بخسارة "حرب الأفكار" مثلما خسروا حرب الحديد والنار، في بقاع عديدة من العالم الإسلامي، وقد اعترف رامسفيلد نفسه – مُشعل "حرب الأفكار" – في تصريح له في 16 فبراير 2006م، بأن أمريكا تخسر حربها الدعائية والفكرية ضد "المتشددين" الإسلاميين، وأضاف: "ينبغي إيجاد وسائل أخرى بديلة لكسب قلوب وعقول الناس في العالم الإسلامي، حيث نجح المتشددون في تسميم الأفكار عن أمريكا."

وكذلك أقرَّ تقرير أعدَّته هيئة استشارية تابعة لوزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" أن أمريكا عجزت عن إقناع العالم الإسلامي باستراتيجيتها الدبلوماسية والعسكرية، وهو ما اعتبره التقرير خسارة لما يسمى "حرب الأفكار"، وقال التقرير الذي قُدم في نوفمبر 2004م: "إنه لا أحد يصدِّق وعود أمريكا عن الحرية والديمقراطية"، وبين أن تدخلات أمريكا في العديد من بقاع العالم الإسلامي، رفعت من أسهم القوى المناوئة لها.

وقد صرح "مارك جنزبيرج" السفير الأمريكي السابق في المغرب، وأحد الخبراء الأمريكيين المتخصصين في شؤون الشرق الأوسط بأن أمريكا تواجه هزيمة في حرب الأفكار، رغم ضخامة الإمكانات المرصودة لها، وقال في حديث له نشرته صحيفة "الواشنطن بوست": "نحن نُهزم في حرب الأفكار لسببين: الأول: أننا تركنا الساحة للمتشددين الإسلاميين، ليزاحمونا، بما عندهم، والثاني: أننا لم نساعد حلفاءنا بالقدر الكافي في مواجهة هؤلاء المتشددين."

ومؤخراً صدر للبنتاجون تقرير -كان سرياً- عن نتائج الحرب الأمريكية العالمية على ما تسميه بالإرهاب، اشتمل على انتقادات حادة لإدارة بوش لهذه الحرب، وقد أعد التقرير "المجلس العلمي للدفاع" في البنتاجون، واختص هذا التقرير بوضع تصور عن كيفية كسب حرب الأفكار ضد ما أسماه: "الجماعات المعادية لأمريكا"، ونصت خلاصة التقرير على ضرورة العمل على إجراء تحول في الاتصالات الاستراتيجية للولايات المتحدة، بعد أن فشلت في إيصال رسالتها في الداخل والخارج عن أهمية الحرب على الإرهاب، وبدأت تخسر معركة الأفكار أيضاً. وأكد التقرير على أن أساليب إدارة بوش كانت فاشلة في إدارة تلك الحرب بشِقَّيْها العسكري والفكري.

إن مئات الملايين من الدولارات التي أُنفقت ولا تزال تُنفق لإطفاء نور الوحي؛ لم تزده إلا وهجاً وضياء؛ فهناك عدد من مراكز الأبحاث المتخصصة في شؤون الشرق الإسلامي المسمى ب "الشرق الأوسط" مثل مركز "أمريكان أنترابرايز" الذي يهيمن عليه المحافظون اليهود الجدد، ومعهد "بروكنجر"، ومعهد "كارنيجي"، ومعهد "الشرق الأوسط" الذي يعرِّف منطقة الشرق الأوسط بالأراضي الممتدة من أفغانستان إلى المغرب العربي، وهذه المراكز تُرصَد لها ميزانيات بالملايين سنوياً؛ لأنهم لا ينتظرون منها أرباحاً، إلا إثبات النجاح في اختراق حصوننا، من الداخل أو الخارج!

وقد رُصد لمعهد الشرق الأوسط وحده، ميزانية تصل إلى مليون دولار سنوياً، وهي ميزانية تجيء من أرباح وقفية، وقفتها على ذلك المركز شركات عديدة كبرى لكنَّ نتائج جهود تلك المراكز تعكس حتى الآن الفشل والخيبة والخذلان، وصدق الله إذ يقول: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) [الأنفال: 36.]

مع كل ما يبدو من إشاراتٍ على الهزيمة الأمريكية والغربية في "حرب الأفكار" فإنَّ هذا لا ينبغي أن يصرفنا عن استشعار خطرها، والاستمرار في تطوير الأساليب للتصدي لها، باعتبارها أدقَّ وأخطر من الحرب العسكرية؛ لأن حرب الأفكار بالمعنى الذي سبق استعراضه، هي حرب باردة جديدة، وهي أخطر من الحروب الساخنة؛ لأنها تستهدف ما في العقول والقلوب، بينما تستهدف الأُخرى ما تحت الأيدي والأرجل، ولأن الحروب الساخنة يمكن أن تتوقف أو تبرد، ولكن صراع الفكر والمناهج يظل مستعراً.

والذي نعتقده: أنَّ الإسلام العظيم، عظمته ذاتية، ولذلك فإنه يسجل بخلوص الولاء له أمجادًا لأهله وحامليه، كما يسجل انتصارات ومعجزات عسكرية -بإذن الله- بأدنى الإمكانات المادية المستطاعة، كالذي هو حاصلٌ في العراق وأفغانستان وغيرهما، وبدون سندٍ ولا مددٍ لأنصاره إلا من الولي النصير سبحانه؛ فإنه سوف يحرز انتصارات أُخرى مماثلة في "حرب الأفكار" بعونٍ من الواحد القهار، مكور الليل على النهار: (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)[يوسف: 21](16).

ثانياً: الظلم الذي بلغ منتهاه في دول الغرب الكافر -ولاسيما دولة الطغيان أمريكا وسنة الله -عز وجل- أن يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، والله -عز وجل- بعزته، وقوته، وحكمته، ورحمته، لا يترك الظالم يظلم للأبد، بل له موعد قد جعله الله لمحقه وسقوطه، قال تعالى: (وَتِلْكَ الْقُرَى أهلكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا) [الكهف: 59]، وقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) [هود: 102] والآيات في تقرير هذه السنة الإلهية كثيرة في القرآن الكريم.

وإذا ما نظرنا إلى الكوارث التي تحل اليوم بالكفرة الأمريكان وحلفائهم في ضوء هذه الآيات الكريمات، والتي تمثل سنة الله -عز وجل- في أخذه للظالمين، لرأيناها تنطبق عليهم تمام الانطباق، فما من ظلم وقعت فيه أمة من الأمم السابقة التي أهلكها الله -عز وجل- إلا وقد اجتمع في أمة الكفر المعاصرة، وذلك في أعتى صوره وأبشعها، **ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:**

1- كفرهم بالله -عز وجل-، سواء الملحد منهم، أو القائل بعقيدة النصارى في التثليث وتأليه عيسى -عليه السلام-، وسعيهم في الأرض فساداً، بنشر عقيدة النصارى الوثنية، وتسخير المليارات للجمعيات التنصيرية لنشر الشرك والكفر في أمم الأرض.

2- الفساد الأخلاقي المريع الذي لم تصل إليه البشرية في تاريخها الماضي الطويل، حيث استباحة الزنا، وشرب الخمور، وهتك الأعراض، وتفكك الأسر بل وصل بهم الفساد والإباحية إلى أن يكون للشواذ والشاذات جنسياً جمعيات ومؤسسات مرخصة لفعل اللواط والسحاق.

3- الفساد المالي الذريع، وقيام اقتصادهم على الحرية المطلقة الفوضوية، والتي عمودها الربا المضاعف، والبيوع المحرمة، وتسلط القوي على الفقير، ونشر ذلك في أمم الأرض، وإفساد اقتصادها.

4- ظلمهم لشعوب الأرض، ولا سيما المسلمين في أوطانهم، حيث جاءت جيوشهم الجرارة، واحتلت بعض بلدان المسلمين، وقتلوا النساء والأطفال، وسرقوا ثرواتهم، وعذبوا أبناءهم في السجون، وشردوهم من ديارهم.

5- حصارهم للمسلمين في ديارهم، حتى مات من جراء ذلك مليون طفل في العراق، وكذلك ما قاموا به على أيدي اليهود من حصار الفلسطينيين المستضعفين في غزة، وقطع موارد الحياة عنهم، وما يجري اليوم من حصار على مدن أهل السنة في العراق والشام، وسبحان الله وبحمده الذي جازاهم بجنس فعلهم فحاصرهم في ديارهم حصاراً اقتصادياً لم يجدوا منه مخرجاً.

6- القضاء على الجمعيات الخيرية المنتشرة في بلدان المسلمين، وبخاصة في دول الخليج التي كانت تكفل أيتام المسلمين، وفقرائهم، ودعاتهم، فتعطلت كثير من هذه الجمعيات، وتوقفت الإغاثات التي كانت تقوم بها.

7- ظلمهم للمسلمين في أديانهم وأخلاقهم، حيث تدخلوا في عقائد المسلمين ومناهجهم، وعقولهم، وسعوا عن طريق المنافقين من أبناء المسلمين في تبديل الدين وإفساد الأخلاق.

كل ذلك ليصدوا عن سبيل الله -تعالى-، قال الله -عز وجل-: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) [يونس: 81]، وقال سبحانه: (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأرض فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [المائدة: 64].

8-ظلمهم لشعوبهم بإغراقهم بالديون والقروض الربوية التي عجزوا عنها بعد أن امتصوا دماءهم، واستولوا على أملاكهم، وأخرجوهم منها بعد أن عجزوا عن السداد. وأصبح 10% من طواغيت المال والربا يتحكمون في 90% من الناس في بلادهم، هم تحت رحمة هؤلاء الظلمة الطواغيت.

هذه مجرد أمثلة لظلم هذه الأمة الطاغية، فهل بعد هذه المظالم من ظلم، ولقد عذب الله الأمم السالفة وأهلكها بظلمها، وكفرها الذي إذا قيس بظلم هذه الأمة الطاغية؛ لا يساوي عنده شيئاً، ومع ذلك فقد حلم الله -عز وجل- عنهم، ولم يعاجلهم بالعقوبة، وأملى لهم، إنه حليم حكيم عليم خبير.

والآن نشهد بدايات عقوبة الله -عز وجل- لهم، وانهيارهم، وتسليط الكوارث الكونية والاقتصادية عليهم، والفضائح السياسية والأخلاقية التي عمّت وطمّت: (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [القلم: 33].

ولقد صرح بذلك بعض مفكريهم وخبرائهم، يقول "ديفيد وركر" كبير مفتشي الحكومة الأمريكية، وهو ممسك بالملف الوطني الأمريكي كله: "إن الولايات المتحدة الأمريكية تقف الآن على حافة الهاوية، وذلك في صورة سياسات وممارسات لا تطيقها البلاد، تسببت في العجز الشديد في الميزانية، والنقص الحاد في الرعاية الصحية، وتزايد التزاماتها العسكرية الخارجية، مما يهدد باندلاع أزمة طاحنة. إن وضع البلاد يشبه وضع "روما" القديمة قبل احتراقها وانهيارها."

وقال الفيلسوف البريطاني "جون غراي" معلقاً على الأزمة الاقتصادية الأمريكية "ما نراه اليوم هو تحول تاريخي لا رجعة عنه في موازين القوى العالمية نتيجته النهائية أن عصر القيادة الأمريكية للعالم قد ولى إلى غير رجعة."

ثالثاً: ما تشهده الأمة من يقظة في مختلف جوانبها وبما تعيشه من نوازل، كشفت لها حقيقة وهوية أعدائها، والتي أفرزت سريان روح المقاومة، وبعثت عقيدة الولاء والبراء في النفوس، مما قويت به جذوة الجهاد في كثير من الثغور، واليقين بأنه لن يرفع الذلة والمهانة، ويرد كيد الأعداء إلا الجهاد

في سبيل الله، والإعداد له نفسياً وإيمانياً ومادياً، وهذا كله من علامات قرب نصر الله -عز وجل- لدينه وأوليائه.

نسأل الله -عز وجل- أن يرفع علم الجهاد، وأن يؤلف بين أهله، ويوحد صفوفهم، وأن يجنبهم الفرقة والاختلاف، وأن ينصرهم على القوم الكافرين.

وفي خاتمة هذه البشائر أقول لإخواني الدعاة والمجاهدين القابضين على الجمر، أصحاب النفوس الكبيرة، والعزائم الشريفة: هنيئاً لكم ما أنتم عليه، فأنتم صفوة الناس وأشرافهم، وأولياء الله، ولا أحد أحسن منكم قولاً ولا عملاً ولا غاية، قال الله -تعالى-: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [فصلت: 33].

وأنتم صمام الأمان لمجتمعاتكم، لأنكم تقومون بما قام به أنبياء الله ورسله -عليهم الصلاة والسلام – فلا تستوحشوا الطريق، ولا تشعروا بأنكم قلة وضعفاء، فأنتم أقوياء بإيمانكم، وأنتم الأكثرون إذا تذكرتم أنكم ضمن قافلة شريفة عظيمة، تنتسب إليها ملائكة الرحمن -الذين لا يُحصون عددًا- وأنبياء الله -عز وجل-، والصالحون من عباده، بل والكون كله رفيق المؤمنين؛ لأنه مسبح عابد لربه -تعالى-، ولم ينفرد عن هذه العبودية الشرعية إلا الكافر الظالم لنفسه، فماذا يساوي بالنسبة لبقية العوالم المستسلمة لربها -عز وجل-؟ إنه لا يساوي شيئاً، وإنما هو نشاز عن الطريق اللاحب الواسع، الذي هو طريق الله -عز وجل- وسبيله، قال تعالى: (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) [غافر: 4]، فاجتمعوا ولا تفرقوا، واصبروا على طاعة الله -عز وجل- ، وترك معاصيه، ولا يهولنكم ضغط الواقع، وقوة العدو، فالله -عز وجل- أقوى وأعز، وهو القاهر فوق عباده، ونواصي الخلق بيده، "والله مولانا ولا مولى لهم"، ولا تستطيلوا الطريق، واتقوا الله واصبروا، فإن العاقبة للمتقين الصابرين، مهما أجلب أعداء الدين وتكالبوا على حربه، ومهما كثر المنافقون والمخذلون، فإن العاقبة لأهل الاستقامة، الذين ثبتوا على دين الله -عز وجل- ولم يضعفوا ولم يهنوا ولم يستكينوا، قال الله -تعالى-: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [آل عمران: 173 – 175].

أسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا من أنصار دينه، الذين (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [المائدة: 54.]

نسأل الله -عز وجل- من فضله، كما نسأله سبحانه أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يرد كيد الكافرين في نحورهم، وأن يخالف بين كلمتهم، وأن يجعل بأسهم بينهم شديد، وأن يقر أعيننا ويشفي صدورنا بهزيمتهم، وذهاب دولتهم، إنه سميع قريب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا.

الهوامش:

(1)انظر: مقال "حرب الأفكار بين بأس الأمريكيين ويأسهم" د/ عبد العزيز كامل، مجلة البيان الإسلامية العدد (238) بشيء من الاختصار والتصرف اليسير.

(2)تفسير السعدي، ص (582.(

(3)انظر: قراءة في تقرير "راند" 2007 باسم خفاجي، مجلة البيان عدد: 236

(4)عن مقال "حرب الأفكار بين بأس الأمريكيين وبأسهم" مجلة البيان عدد: 238

(5)انظر: القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، د/ محمد السلوم.

(6)صحيفة واشنطن بوست 2006/3/27

(7)انظر: إصدار "حملة للترويج لإسلام جديد"، ص(3- 4) من إصدار مجلة البيان الإسلامية.

(8)ومما يؤكد دعم الغرب بقيادة أمريكا للحركات الصوفية وتوظيفها في حرب السنة وأهلها تلكم المؤتمرات التي تعقد بين الفينة والأخرى والتي يتبناها ويدعو إليها التيار الصوفي العالمي، ومن آخرها مؤتمر: "جروزني" في الشيشان المنعقد في 25 – 27 ذو القعدة 1437 تحت عنوان: "من هم أهل السنة والجماعة؟" بمباركة الولايات المتحدة وروسيا، والذي أود التنبيه عليه في هذا المؤتمر ما يلي: إن المؤتمر يأتي في ظرف عصيب ومآسي وآلام تمر بها الأمة في كثير من

البلدان، وتعاني فيه من حرب إبادة، ومع ذلك لم يتطرق هذا المؤتمر الخياني في توصياته المضحكة المبكية إلى حال المسلمين في سوريا والعراق، واستنكار ما يفعله الدب الروسي في أهلنا وأطفالنا في حلب وغيرها من المدن السورية، ولا ما يقوم به الروس من تحالف مع العدو الإيراني الرافضي في عدوانهم على أهل السنة في الشام، ولا ما يقوم به التحالف الدولي في العراق من تدمير لمدن أهل السنة وأهلها، وكأن أصحاب المؤتمر في كوكب آخر غير كوكب الأرض. وكأنه يرسل للعالم رسالة مفادها: أن الدين ليس له دخل في السياسة ولا في أحوال الأمة ومآسيها ودمائها.

ورسالة أخرى يريد تقريرها ألا وهي: طمأنة قوى الكفر في الغرب والشرق أن عداء المجتمعين في هذا المؤتمر ليس ضد المشروع الأمريكي ولا الروسي الرافضي وإنما هو لأعدائنا السلفيين المتشددين، وهاتان الرسالتان هما ما يريده الغرب والشرق الكافرين من عزل الدين عن السياسة، وفي قيام الحركات الصوفية في حرب التيارات السنية السلفية بدعم معنوي ومادي من الولايات المتحدة -في سياق مشروعها الأجرامي في حرب السنة وأهلها- هذا يدل على ما ذكر آنفاً من توصيات مراكز الأبحاث الأمريكية في استخدام التيار الصوفي وتراثه كذراع من أذرعة الحرب الفكرية على السنة وأهلها.

(9)ومن سياسات الاقصاء التي تتبعها أمريكا ووكلائها من كثير من حكام الشعوب المسلمة: تغييب الرموز السلفية ولا سيما الصادعين بالحق والمجاهدين، فهم إما في غياهب السجون أو بالاغتيالات الفردية، وكذلك ما تقوم به أمريكا ومن معها من التحالف الدولي من دعم جوي عسكري لرافضة العراق في تدمير مدن أهل السنة وقتل أهلها وتشريدهم.

(10)انظر: مقال "ممنوع دخول السلفية والسلفيين" أحمد فهمي، مجلة البيان عدد: 221 بشيء من الاختصار والتصرف اليسير.

(11)موقع الجزيرة نت.

(12)انظر: المقال وتوثيق المنقولات في مجلة البيان عدد: 223.

(13)انظر: المقال في مجلة البيان العدد: 238.

(14)أبو داود: 2506، وصححه الألباني في أبي داود: 2262.

(15)إعلام الموقعين (178/2).

(16) انظر مقال: "حرب الأفكار بين يأس الأمريكيين وبأسهم" مجله البيان عدد: 238.